المجلة الشهرية

يونيو ٢٠٢٥م
ذوالحجة ١٤٤٦ هـ

الإشراق

تصدر في الولايات المتحدة الأمريكية

الإشراف العام
جاويد أحمد غامدي

رئيس التحرير : د. محمد غطريف شهباز الندوي
المدير المسؤل : محمد حسن إلياس

وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ، يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۞ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ، وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ، عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ، فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ۞ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ، وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ، وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ۞ (الحج: ٢٧–٢٩)

www.ghamidi.org

مركز غامدي للتعلّم الإسلامي، المورد، أمريكا

أهداف وأغراض تأسيس "المورد"

[مؤسسة التعليم والبحث]

المورد مؤسسة علمية متميزة، تنهض بأمانة التقاليد الفكرية الراسخة التي شكّلت معالم الحضارة الإسلامية عبر القرون. تأسست في مستهل القرن الخامس عشر الهجري[1] انطلاقًا من وعي عميق بأن مسار التفقه في الدين لم يعد يسير على الجادة السليمة. فقد أضحت الدعوة إلى الدين الخالص، المستندة إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، غريبة بين المسلمين، بعدما طغت العصبيات المذهبية وتفاقمت النزاعات السياسية التي صرفت الأنظار عن جوهر الدين وروحه.

لقد أصبح القرآن الكريم، الذي يعدّ أساس هذا الدين، مجرد كتابٍ للحفظ والتلاوة فحسب. وفي المدارس الدينية، غدت العلوم التي كان يفترض أن تكون وسائل للوصول إلى القرآن الكريم مقاصد في ذاتها. أما السنة النبوية، فقد فصلت عن أصولها في القرآن والسنة، وأفرغت من مضامينها الحقيقية، بينما انصبّ الجهد على مبادئ مدرسةٍ فكريةٍ بعينها، والسعي لإثبات تفوقها على غيرها من المدارس.

تأسست هذه المؤسسة، التي تحمل اسم "المورد"، استجابة لواقع ديني يتطلب إصلاحًا عميقًا وتقويمًا شاملًا. وانطلاقًا من هذا الوعي، جعلت المؤسسة من أولى أولوياتها السعي إلى ترسيخ الفهم الصحيح للدين، من خلال البحث العلمي، والتحقيق الرصين، والنقد المنهجي للانحرافات التي علقت به عبر العصور. كما التزمت بنشر هذا الفهم على أوسع نطاق ممكن، مستثمرة في ذلك شتى الوسائل المتاحة، مع العناية بتربية الناس وتعليمهم على ضوء هذا التصور الأصيل والمستنير للدين.

---

[1] شعبان ١٤٠٣هـ الموافق يونيو ١٩٨٣م.

لتحقيق هذا الهدف، تم اتباع الأساليب التالية التي تعدّ من الركائز الأساسية لتحقيق المقصد:

١- الاهتمام بتذكير الناس بالقرآن على المستوى العالمي.

٢- تعليم الناس شريعة الله وفق القرآن والسنة، مع التركيز على تنمية الإيمان والأخلاق.

٣- إشراك العلماء والباحثين ذوي الفكر الصحيح في الدين كزملاء في المؤسسة، وتوفير كافة التسهيلات اللازمة لدعم أعمالهم العلمية، البحثية والدعوية.

٤- حث الناس على إقامة المؤسسات التي تدعم نشر العلم الديني الصحيح في مختلف المجالات، ومنها :

أ- إنشاء مدارس تعليمية تهدف إلى تخريج علماء وباحثين متبصرين في الدين وفق الفهم الصحيح.

ب- إقامة مدارس على مستوى عالٍ، مثل مدارس للمرحلتين المتوسطة والعليا التي تجمع بين التعليم الأكاديمي المتميز مرحلة الثانوية العامة وتنمية القدرات الإبداعية للطلاب، مع توفير التربية الدينية والثقافية.

ج- إقامة مدارس دينية أسبوعية للطلاب من المدارس العامة، حيث يتم تدريسهم القرآن الكريم بطريقة تؤصل في نفوسهم حب الدين، مما يجعلهم ثابتين في إيمانهم في المستقبل.

د- إنشاء زوايا (خانقاهات) يتردّد إليها الناس بين الحين والآخر، فيتركون مشاغلهم الدنيوية لبعض الوقت، ليستفيدوا من مجالسة العلماء والصالحين، ويتعلّموا منهم الدين، ويخلوا بأنفسهم أيّامًا معدودة يتفرّغون فيها للذكر والعبادة طلبًا لتزكية النفوس وتطهير القلوب والأبصار.

(ترجمة من الأردية: الأستاذ عثمان فاروق)

المجلة الشهرية

الإشراق

تصدر في الولايات المتحدة الأمريكية

المجلد الأول | العدد الخامس | يونيو ٢٠٢٥م | ذو الحجة ١٤٤٦هـ

الإشراف العام

جاويد أحمد غامدي

رئيس التحرير : د. محمد غطريف شهباز الندوي

المدير المسؤل : محمد حسن إلياس

هيئة التحرير

ريحان أحمد يوسفي، د. محمد عمار خان ناصر، محمد ذكوان الندوي

محمدعامركزدر، د.عرفان شهزاد، نعيم أحمد بلوش، عثمان فاروق

محتويات العدد

الشذرات

إشراقة: انهيار المؤسسات الدولية	رئيس التحرير	٣
الثورة الإسلامية	جاويد أحمد غامدي	١١
تصوّر "الواجب" في الفقه الحنفي	محمد حسن إلياس	٢٢
موقف الأستاذ غامدي من قضية نزول المسيح (٥)	السيد منظور الحسن	٢٨

القرآنيات

البيان: البقرة٢ :٥١–٦٠ (٥)	جاويد أحمد غامدي	٣٦

المعارف النبوية

الأحاديث	جاويد أحمد غامدي	٣٩

مقامات

مقطتف من "مقامات" (٤)	جاويد أحمد غامدي	٤٠

الدين والمعرفة

مقطتف من "ميزان" (٤)	جاويد أحمد غامدي	٤٤

آثار الصحابة

إكرام أهل البيت الكرام وتبجيلهم (٨)	أ. د/ محمد عمار خان ناصر	٤٧

www.ghamidi.org

مركز غامدي للتعلّم الإسلامي، المورد، أمريكا

الدراسات

انشقاق القمر: موقف الأستاذ غامدي (٤) — السيد منظور الحسن — ٥٤
دراسة لابن ماجة (٤) — د. عمار خان ناصر/ د. مطيع سيد — ٦١
دراسة نقدية لتفسير «مفتاح القرآن» (٢) — د. محمد غطريف شهباز الندوي — ٦٦

وجهة النظر

هل "الحور" مخلوق مستقل؟ — محمد حسن إلياس — ٧٤
القرآن الكريم والتصوّر السائد لدى المسلمين عن الدين — ثاقب علي — ٧٨

المختارات

أية سورة من القرآن أنزلت أولًا؟ — الإمام المحدث شبير أحمد أزهر الميرتهي/ — ٨٣
مقتطف من شرح البخاري (٤) — د. محمد غطريف شهباز الندوي
دراسة مواقف علي ومعاوية رضي الله عنهما عن التحكيم (٣) — ٩٣
العلامة شبير أحمد أزهر/ د.غطريف شهباز الندوي

في السيرة

حياة أمين (٤) — نعيم أحمد بلوش — ١٠٠

إلى رحمة الله تعالى

البروفيسور خورشيد أحمد — د. محمد غطريف شهباز الندوي — ١٠٨

الشعر والأدب

النشيد الإسلامي — العلامة الدكتور محمد إقبال — ١١٤

الأحداث

نشرة أخبار "المورد" أمريكا — شاهد محمود — ١١٦

الشذرات

د. محمد غطريف شهباز الندوي

إشراقة

انهيار المؤسسات الدولية، وظهور عالم متعدد الأقطاب، وعربدة إسرائيلية

أيها القارئ الكريم لمجلة الإشراق العربي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، نشأ نظام عالمي جديد — ما يعرف أمريكيًا بـ"النظام القائم على القانون" — تركزت مفاتيحه في أيدي خمس دول كبرى: الولايات المتحدة، وروسيا، وبريطانيا، وفرنسا، والصين. وكأن مصير البشرية جمعاء أصبح رهينًا بإشارة من هذه القوى الخمس.

ومن بين هذه الدول، كانت أربع منها — باستثناء الصين — من المنتصرين في الحرب الكونية الكبرى. وقد مارست هذه القوى المنتصرة، وعلى رأسها بريطانيا، سياسات استعمارية جائرة، حيث أعادت تقسيم مستعمراتها بطرق مجحفة، أبرزها تقسيم الهند، ثم تقسيم فلسطين من خلال الجمعية العامة للأمم المتحدة، مما أدى إلى قيام الكيان الإسرائيلي غير الشرعي في قلب الشرق الأوسط.

بهذه الخطوة، لم تكتفِ بريطانيا بترسيخ قاعدة متقدمة للإمبريالية الغربية، بل أسست لبذور صراع دموي ما زالت المنطقة تكتوي بنيرانه حتى اليوم. ولم يمضِ وقت طويل حتى بدأت بريطانيا، المثقلة بجرائمها ضد الإنسانية، بالتراجع عن مركزها، لتحل محلها الولايات المتحدة الأمريكية، التي ظهرت كقوة

رأسمالية كبرى تواجه الكتلة الشيوعية بقيادة الاتحاد السوفيتي.

وفي ظل هذا الاستقطاب العالمي، رفضت بعض الدول الانخراط في إحدى الكتلتين، فظهرت حركة "عدم الانحياز" كبديل ثالث، وكان لرئيس وزراء الهند، جواهر لال نهرو، والرئيس المصري، جمال عبد الناصر، دور محوري في إطلاقها وبناء رؤيتها.

لم يلبث أن تحولت الولايات المتحدة، التي ورثت النفوذ البريطاني، إلى أداة في يد اللوبي الصهيوني، ممثلًا في مؤسستين نافذتين: "المؤتمر اليهودي العالمي" و"اللجنة الأمريكية الإسرائيلية للشؤون العامة" (AIPAC). وقد تغلغل هذا اللوبي في عمق الثقافة الأمريكية، وفي مؤسساتها التعليمية والإعلامية والاقتصادية والسياسية والعسكرية، حتى بات تشكيل أي إدارة أمريكية أو استمرارها في الحكم مرهونًا برضاه، سواء أكانت ديمقراطية أم جمهورية.

اليوم، نشهد مؤشرات واضحة على تفكك النظام العالمي الأحادي القطب، وظهور عالم متعدد الأقطاب، حيث بدأت دول كبرى مثل الصين وروسيا، ومعها قوى إقليمية صاعدة، تستعيد مكانتها في الساحة الدولية، مما أعاد طرح سؤال العدالة الدولية والشرعية الأممية من جديد. وفي ظل هذا التحول، تتصرف إسرائيل بعنجهية مفرطة، مستفيدة من انهيار الضوابط الأخلاقية للمؤسسات الدولية، ومن الدعم الأمريكي غير المحدود.

إن ما نشهده ليس مجرد تحول في موازين القوى، بل انهيار لمنظومة عالمية قامت على الظلم والتفرقة، وتأسست على معايير القوة بدلًا من القانون، وعلى الانتقائية بدلًا من العدالة. ويبقى التحدي الأكبر أمام شعوبنا، هو أن تعي موقعها في هذا التحول الجذري، وأن تستعد لصياغة دورها في العالم الجديد القادم.

من المثير للاهتمام أن جذور اللوبي الصهيوني متغلغلة في كلا الحزبين الرئيسيين في الولايات المتحدة، الجمهوري والديمقراطي على السواء. فما من زعيم سياسي أمريكي يجرؤ على الخروج من قبضة هذا اللوبي أو معارضته إلا وتكتب نهاية مسيرته السياسية. وقد وثّق السيناتور الأمريكي السابق بول فندلي هذه الحقيقة في كتابه الشهير "من يجرؤون على الكلام"، الذي ترجم أيضًا

إلى اللغة الأردية، حيث سرد فيه قصصًا ملهمة لسياسيين أمريكيين تجرأوا على تحدي النفوذ الصهيوني.

تحت تأثير هذا اللوبي، يفرض الصهاينة هيمنتهم على النظام السياسي الأمريكي، ويستغلونه بصورة تجعل إسرائيل تحصل على ما تريد، سواء كان الحاكم في البيت الأبيض ديمقراطيًا أو جمهوريًا. لهذا السبب لم يكن مستغربًا أن يعلن الرئيس الأمريكي الأسبق جو بايدن نفسه "صهيونيًا"، وأن يكون وزير خارجيته أنتوني بلينكن يهوديًا، ووزير دفاعه مواليًا للصهيونية.

وقد رأينا نتائج ذلك في السياسات التي انتهجتها إدارة بايدن، إذ بذلت قصارى جهدها في دعم العدوان على غزة وتوفير الغطاء السياسي والدبلوماسي الكامل لإسرائيل.

أما في عهد الرئيس دونالد ترامب، فقد اتخذت السياسة الأمريكية منحًى أكثر صراحة وفجاجة وأكثرانحيازا لإسرائيل، حيث هدّد بخطة جائرة تهدف إلى تفريغ غزة تمامًا من الفلسطينيين، وتحويلها إلى مشروع استيطاني يحمل اسم "ريفيرا غزة". وعلى الرغم من أن ترامب لا يبدو ملتزمًا أيديولوجيًا بالصهيونية، إلا أن فريقه السياسي كان وما يزال يلعب بالكامل في مصلحة الصهاينة — وهو أمر لا خلاف عليه.

وبما أن ترامب يمتلك مزاجًا نرجسيًا ذا نزعة إمبراطورية، فربما يحاول الحدّ من نفوذ نتنياهو أحيانًا، كماتؤشرعليه خطواته الأخيرة بتنحية نتنياهوفي زيارته لدول الشرق الأوسط ،لكنّ سياسات إدارته كانت دومًا تصب في صالح إسرائيل، كما أشار إلى ذلك الاقتصادي الأمريكي المعروف جيفري ساكس.

فرض ترامب تعريفات جمركية على عدد من دول العالم، وأطلق شرارة حرب تجارية جديدة، معتبرًا أن العالم ـ طوال العقود الماضية ـ كان يستنزف الثروات الأمريكية. ووفقًا لرؤيته هو وأتباعه، فإن أوروبا وغيرها من الدول استفادت من الامتيازات الأمريكية على حساب المواطن الأمريكي، ما أدى إلى فقدان فرص العمل وانهيار الامتيازات الاقتصادية للداخل الأمريكي. ومن هنا، كان هدفه إعادة ترتيب المصالح العالمية بما يعوّض أمريكا عن تلك الخسائر.

من وجهة نظري، فإن ما يفعله ترامب هو محاولة لإدارة عجلة التاريخ

بعكس اتجاهها الطبيعي. فالنظام الأمريكي يعاني من أزمات بنيوية عميقة لا يمكن إصلاحها بطلاء خارجي أو جراحة تجميلية. فحتى لو أُعيد ترميم الأنف المقطوع، فلن يعود الجمال الأصلي إلى الواجهة.

الولايات المتحدة اليوم هي الدولة الأكثر مديونية في العالم، وهي التي تدير النظام الاقتصادي العالمي من خلال هيمنة الدولار، مستندة إلى ما عرف بـ نظام بريتون وودز (Bretton Woods System). غير أن هذا النظام بات مهددًا في ظل صعود قوى اقتصادية كبرى، أبرزها الصين، التي أصبحت المنافس الاقتصادي الأول لأمريكا، وتسعى جاهدة إلى استبدال الدولار بعملات بديلة مثل اليوان وغيره.

إن هذا التحول العالمي لا يشكل تهديدًا فقط للهيمنة الأمريكية، بل هو مؤشر على نهاية مرحلة وبداية مرحلة جديدة قد تكون أكثر عدلاً وتوازنًا في العلاقات الدولية. نسأل الله أن يكون في هذا التغير خير للعالم أجمع.

حين تجتمع نية الاضطهاد والقمع والفساد والعقلية التجارية في شخص واحد، ويكون هذا الشخص قويا ومؤثرا، فإن العقل والمنطق يتوقفان عن العمل. فعندما يقول هذا الزعيم الأمريكي، دونالد ترامب، إن غزة أصبحت اليوم مكانًا غير صالح للعيش ويجب هدمها، لا يجرؤ أحد على مواجهته بالحقائق الواضحة، فلا يقول له أحد: "يا سيدي، أنتم من فعل ذلك! أنتم من قدّم لإسرائيل قنابل بقيمة عشرة آلاف مليون دولار، استخدمتها بلا تمييز لتحويل غزة إلى مقبرة جماعية."

إن الرئيس الأوكراني زيلينسكي — رغم ما في شخصه من إشكاليات — تجرأ مرة ووصف الملك العاري بـ"عاري"، بينما نرى بعض الملاك والأثرياء العرب في الخليج يتسابقون على استثمار آلاف التريليونات في الولايات المتحدة، تنفيذًا لرغبة ذلك الديكتاتور المتغطرس ترامب. وهذا وحده دليل دامغ على أن النخوة العربية قد ماتت من أساسها!

لقد ظنّت إدارة بايدن الرئيس السابق الخبيث أن روسيا تمثل الخطر الأكبر على الغرب، وهذه النظرية لا تزال تهيمن على العقل السياسي الأوروبي. فرغم أن روسيا تحتل موقعًا جغرافيًا بين أوروبا وآسيا، إلا أنها دينيًا وثقافيًا وعقليًا لم

تكن يومًا جزءًا من أوروبا الغربية. فروسيا تمثل الأرثوذكسية المسيحية، بينما كانت أوروبا التاريخية تدور في فلك البيزنطية الكاثوليكية والبروتستانتية.

وفي أوائل القرن العشرين، كان القياصرة الروس لا يزالون عبيدًا للمُلوكيّة، بينما كانت أوروبا قد بدأت تشهد موجة من الديمقراطية الليبرالية. وبعد سقوط النظام القيصري، انزلقت روسيا بسرعة إلى حضن الشيوعية، فصارت العدو النظري الأول للغرب الرأسمالي، واندلعت بينهما الحرب الباردة.

انتهت الحرب الباردة بانتصار الرأسمالية الغربية، بعد أن استغلّت الجهاد الأفغاني والأموال العربية بسخاء، فتمكنت من تفكيك الاتحاد السوفيتي إلى جمهوريات متعددة. لكن لم تمضِ سنوات كثيرة حتى نهضت روسيا من جديد بقيادة رجل شديد الدهاء والجرأة هو فلاديمير بوتين. وها هو اليوم يدخل في مواجهة مفتوحة مع الغرب، بينما أصبحت أوروبا خالية من القيادات التاريخية وتابعة للولايات المتحدة منذ ستة عقود دون مراجعة لموقفها أو نقد.

وحين حاول بايدن تطويق روسيا عبر توسيع حلف الناتو باتجاه حدودها، وممارسة سياسة "الخنق الجغرافي"، واجهته روسيا بقوة، فغزت أوكرانيا وأوقفت تمدد الناتو عند حدّه.

أما ترامب فقد قلب الطاولة على الأوروبيين، واعتبر أن روسيا ليست العدو الحقيقي للغرب، بل إن الخطر الأكبر هو الصين. فالصين اليوم تنافس أمريكا في الاقتصاد، والذكاء الاصطناعي، والدبلوماسية الدولية. وهي تزداد نفوذًا في إفريقيا وآسيا والشرق الأوسط. كما أن التحالف الصيني-الروسي يشكل قوة كبرى يسعى ترامب إلى اختراقها واحتوائها.

وقد دفعت أوكرانيا ثمناً فادحًا لاعتمادها الأعمى على الغرب. فبعد انهيار الاتحاد السوفيتي، ورثت أوكرانيا مخزونًا كبيرًا من الأسلحة النووية، لكن الغرب أقنعها بنزع سلاحها النووي مقابل وعود فضفاضة بحمايتها إذا تعرضت لأي تهديد. أوفت أوكرانيا بذلك، لكن حين جاء الخطر الحقيقي، احتلت روسيا جزءًا كبيرًا من أراضيها، ووقفت الولايات المتحدة موقف المتفرج، وانسحبت من المواجهة، تاركة أوروبا عاجزة لا حول لها ولا قوة بدون الدعم الأمريكي.

من هذا الدرس التاريخي المرير، يجب أن تدرك إيران أنه لا يجوز لها التفريط

في برنامجها النووي تحت أي ظرف. فالتاريخ يعلّمنا أن الوعود الغربية لا تصمد عند أول اختبار، وأن القوة وحدها هي الضمان الحقيقي للأمن والسيادة.

الآن، يبدو أن سيناريوا سياسيًا جديدًا يتشكل في العالم؛ فتركيا ستبقى قوة مؤثرة في منطقة البلقان، وسيشهد حلف الناتو انكماشًا في الحجم والدور، بينما يزداد تحالف الصين وروسيا قوةً وصلابة. أما إسرائيل، فقد أصبحت اليوم قوة مهيمنة متجبرة في الشرق الأوسط أكثر من أي وقت مضى، حيث توسعت في الأراضي اللبنانية والسورية، ودمجت وضمت رسميًا مرتفعات الجولان، بل وتوسعت بشكل خطير في الضفة الغربية.

ويبدو أنها ستبقى كذلك، لأن محور المقاومة الذي صنعته إيران ـ نتيجة تخاذل وغباء الدول العربية ـ أصبح اليوم ضعيفًا إلى حد العجز. أما إيران، فإنها تواجه تحدّي البقاء ذاته، وقد يستغرق الأمر وقتًا طويلًا لاستعادة نفوذها وبسط سيطرتها من جديد.

ومن منظور العقل والمنطق، فإن الرئيس ترامب يمتلك ما يمكن تسميته "بالعقل المعكوس"، فهو لا يعير أدنى اهتمام للأعراف الدبلوماسية ولا يراها جديرة بالاعتبار. فقد بدأ بحصار إيران بقاذفات (B2) وحاملات الطائرات العملاقة مثل "هاري ترومان"، ثم طالبها بالتفاوض على شروطه هو.

على هذه الجبهة، لا يمكن لإيران أن تنجو إلا من خلال دعم سعودي–روسي–صيني مشترك، إلى جانب دبلوماسية إيرانية جريئة؛ وإلا فإن إسرائيل، بعذر "الدفاع الاستباقي" أو ذريعة أخرى، عازمة على تدمير قدراتها النووية، ولن تمنعها أمريكا ولا حلفاؤها من ذلك إذا اجترأت عليه.

لقد دمرت إسرائيل غزة والضفة الغربية ولبنان وسوريا، وأصبحت –بفضل الدعم الاقتصادي والعسكري الأمريكي الهائل– القوة العسكرية الأهم في المنطقة. وكان يمكن لتركيا أن تُوقفها، لكنها اكتفت بإصدار بيانات الإدانة والشجب، بل وركزت على حماية مصالحها في سوريا من خلال قصف محدود على الأكراد، بينما استغلت إسرائيل هذه الفرصة الذهبية لتدمير القدرات العسكرية السورية بمآت من الضربات الجوية المتكررة، حتى إنها لم تتردد في قصف القصر الرئاسي بدمشق.

وكان حريًا بسوريا وتركيا أن تردا ردًا عسكريًا دفاعًا عن النفس، إلا أنهما لم تفعلا شيئًا. وحتى على مستوى المقاطعة الدبلوماسية والتجارية، لم تُقدِم تركيا على خطوة واحدة عملية، مثلها مثل مصر والأردن والمغرب والسودان والإمارات والبحرين، الذين لم يجنوا من علاقاتهم مع إسرائيل سوى التبعية والخوف من الثورات الشعبية. فأغلبهم يستنجد بالوجود العسكري الأمريكي لضمان بقائه في الحكم. وفي هذا السياق، تبقى الشجاعة اليمنية مثار تقدير واحترام نادر.

وبناء على ما سبق، فإن الطاغية نتنياهو، رغم تحدياته الداخلية، لم يعد يواجه أي تهديد خارجي حقيقي، بل يتصرف ككلبٍ عقور يهاجم الجميع في المنطقة دون تردد. ومن شواهد تغوّله: مهاجمته في ليلة الخميس ١ مايو الجاري، لقارب يحمل مساعدات إنسانية إلى غزة، مرتين، عبر طائرة إسرائيلية مسيّرة قبالة سواحل مالطا. وكان هذا القارب جزءًا من "أسطول الحرية" التابع لمنظمة إنسانية (@GazaFreedomFlotilla) تسعى لإنهاء الحصار الجائر عن غزة، التي انقطعت عنها المساعدات منذ شهرين. وتم ذلك كله من دون أي ردّ دولي مؤثر يذكر!

في المقابل، يروّج الإعلام "الإسلامي الرسمي" بقوة لفكرة أن إسرائيل هزمت، وأن حماس والمقاومة انتصرت! ويا له من انتصار مزعوم! يقولون إن إسرائيل فشلت في تحقيق أهدافها الحربية، كالقضاء على حماس أو إطلاق سراح أسراها، لكن هذه قراءة سطحية معكوسة للواقع. فحقيقة الأمر أن المنطقة بأسرها ترزح تحت رعب الإرهاب الإسرائيلي المنهجي، والدمار الشامل، وقد كسر ظهر حزب الله وحماس، وقضي على القيادة العليا لكل منهما، ولم يبقَ لديهما أي قوة عسكرية تذكر.و الحرب خاضتها إسرائيل باستخدام الذكاء الاصطناعي والقوة الجوية المهيبة، وهي أدوات لا قدرة للعرب على مواجهتها حاليًا.

أما "ورقة الرهائن"، فهي ورقة ضعيفة لم تحدث أي فرق حتى الآن. وأكثر من ذلك، لم تقضِ إسرائيل على حماس فحسب، بل دمرت غزة نفسها. والآن، بدعم أمريكي مباشر، بدأ تنفيذ خطة تهجير الفلسطينيين؛ وقد غادرت الدفعة الأولى إلى إندونيسيا، وربما تكون مصر والأردن قد انضمتا سرًا إلى هذا المشروع مع الولايات المتحدة. خاصة وأن التيارات الدينية المعارضة، التي كانت تخشى في

السابق، باتت محظورة رسميًا في الأردن، كما كانت محظورة في مصر منذ زمن.

نكتب هذا كله لا من باب الرثاء، بل لنتعلّم منه الدروس ونبني عليه استراتيجيتنا الكفاحية القادمة ضد الاحتلال الصهيوني.

في رحاب العدد الخامس

بمناسبة صدور العدد الخامس من مجلة الإشراق، نواصل، بعون الله، تقديم مختارات مترجمة من النسخة الأردية لعدد مايو ٢٠٢٥م، إلى جانب بحوث وتحليلات مستقلة تسعى إلى تعميق الفهم وتوسيع المدارك. ونجدّد في هذا المقام التزامنا بالمضيّ قدمًا في إصدار مجلة تتسم بالحريّة في الطرح، والدقة في الاختيار، والجدّية في المضمون.

ونرحب، بكل امتنان، بآراء قرائنا الكرام وملاحظاتهم البنّاءة، فهي نبراسنا في طريق التميّز والتطور.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوكم في الدين

أ. د محمد غطريف شهباز الندوي

(١٤ مايو ٢٠٢٥م علي كره)

جاويد أحمد غامدي
ترجمة من الأردية: الأستاذ عثمان فاروق

الثورة الإسلامية

[كتب الأستاذ جاويد أحمد غامدي هذا المقال في عام ١٩٩٤م، وهو منشور ضمن كتابه المعروف "برهان"]

شارف نصف قرن على الانقضاء ونحن نحلم بتحقيق الثورة الإسلامية في هذا البلد. لقد مضى الجيل الأول الذي نهض لتحقيق هذا الحلم، وها هو الجيل الثاني يخوض غماره. وقد كتب الكثير في هذا السبيل، وقامت ضجّات عظيمة، وسالت دماء الشباب، ودفن الشيوخ آمالهم مرة بعد مرة. وبعد هذا الجهد الدؤوب وهذه التضحيات الجسام، كان يمكن على الأقل أن نأمل أنه، وإن لم نبلغ الغاية، فسنرى معالمها تلوح أمام أعيننا، غير أن الواقع يثبت أن الطريق إلى الهدف لا تزال مجهولة المعالم. لقد رحل القادة، وأعيى التعب المسافرين، ومن بقي لديه شيء من العزم، فقد بذل كل قوته، وكل ما يملك، بل ضحّى حتى برصيد علمه وأخلاقه في سبيل هذه المسيرة. ومع ذلك، لم يتغير الحال:

میری رفتار سے بھاگے ہے بیاباں مجھ سے

(تسبقني الصحراء رغم سرعتي)

ولم يكن الأمر أن هذه القوافل الصابرة اكتفت بالسير الشاق في هذا الطريق، بل شهدنا في تاريخ هذا البلد مرحلة ارتفع فيها صدى الثورة الإسلامية

من داخل قصور الحكم نفسها.[1] ذاك النداء الذي كان يعلو من المحراب والمنبر ويرتد خائبًا عن جدران القصور، أصبح يصدر من أروقتها. لقد بشرتنا أسماعنا مرارًا، في تلك السنوات، بأن المجتمع الأول الذي به بدأت حضارتنا، ذلك المجتمع الذي تجسدت فيه كل القيم الأخلاقية واقعًا حيًا محسوسًا، قد آن أوان عودته. ومع تعاقب الأيام، وتتابع الشهور والسنين، كانت النتيجة الماثلة أمامنا:

وہ جو رکھتے تھے ہم اک حسرت تعمیر سو ہے

(تلك الأمنية في البناء التي كنا نحملها، ما زالت أمنية فحسب)

لماذا حدث ذلك؟

يمكن أن يقال فيه الكثير، وسيقال. بعضهم قد ينسبه إلى قضاء الله وقدره، ويراه مأساة إلهية لا مرد لها، وبعضهم سيبحث عن أسبابه في تعقيدات السياسة والواقع الراهن.

أما نحن، فبعد تأمل عميق، خلصنا إلى أن مكمن الخطأ الجوهري إنما هو في التخطيط والعمل، وفي المنهج والاستراتيجية. وعليه، وفي هذا الوقت الذي دفعت فيه نتائج الانتخابات الأخيرة[2] الكثيرين إلى إعادة التفكير، نرى أنه من المناسب أن نعرض رؤيتنا لهذه القضية بكل وضوح.

إننا نشهد اليوم نهاية مرحلة وبداية أخرى في مسيرة هذا الكفاح. ولسنا نتصور أن من هم في الميدان سيغيرون طريقهم استجابة لهذه الملاحظات، ولكننا نأمل أن تبقى هذه الكلمات نصب أعين من سيحملون راية هذه الثورة في المستقبل.

خطة العمل للثورة

في الحضارة الإنسانية، لم تعرف منذ القدم وحتى اليوم إلا أربع وسائل يمكن لأي دعوة، سواء أكانت دعوة حق أم باطل، أن تصل من خلالها إلى الحكم والسلطة:

١- أن يتم الاستيلاء على السلطة من خلال عمل مسلّح.

٢- أن يتم إخراج الناس إلى الشوارع في شكل انتفاضة شعبية تجبر أصحاب السلطة على التنحي وتسليم الحكم لأهل الدعوة.

٣- أن يتم الوصول إلى السلطة عبر السياسة الانتخابية.

٤- أن يتأثر أصحاب القرار والنفوذ في الأمة بهذه الدعوة، فيذعنون لها ويخضعون لحجتها واستدلالها، فيسلّمون لها الحكم طواعية.

أما الطريقتان الأوليان، فهما ما يعرف في الشريعة الإسلامية بمصطلحي المنازعة والخروج. وبما أن الإسلام يصر على أن حرمة النفس الإنسانية لا يجوز انتهاكها إلا في حالتي القتل أو الفساد في الأرض، وأن النظام الجماعي للمسلمين، مهما بلغ من الفساد، لا يجوز الإخلال به بأي ثمن، كما لا يجوز لأي شخص، مهما علا قدره، ولو كان في مرتبة الصديق أو الفاروق رضي الله عنهما، ومهما ارتدى عباءة الشريعة، أن يفرض على المسلمين دون رضاهم، فإن الإسلام لا يجيز هذين النوعين[٣] من الثورة السياسية إلا إذا توفرت ثلاث شروط:

أولاً: أن يرتكب الحاكم كفراً بواحاً (كفراً ظاهراً معلناً).

ثانياً: أن تكون حكومته استبدادية، لا تستند إلى اختيار المسلمين، ولا يستطيع أحد أن يغيرها برأي أو شورى.

ثالثاً: أن يكون القائم بالخروج شخصاً تلتف حوله أكثرية الأمة، وتثق بقيادته ثقة كاملة.

ودليل الشرط الأول: أن القرآن الكريم يوجب طاعة أولي الأمر من المسلمين، ما داموا من بين أهل الإيمان، ولا يرفضون سيادة الشريعة، سواء في شؤونهم الخاصة أو في نظام الحكم. فلا يجوز لأي مؤمن أن يعرض عن طاعتهم أو ينقلب عليهم. قال الله تعالى:

يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْٓا اَطِيْعُوا اللّٰهَ وَاَطِيْعُوا الرَّسُوْلَ وَاُولِى الْاَمْرِ مِنْكُمْ ۚ فَاِنْ تَنَازَعْتُمْ فِيْ شَيْءٍ فَرُدُّوْهُ اِلَى اللّٰهِ وَالرَّسُوْلِ اِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُوْنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ ۗ ذٰلِكَ خَيْرٌ وَّاَحْسَنُ تَاْوِيْلًا. (النساء٤: ٥٩)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في توضيح هذه الآية:

إلا أن تروا كفرًا بواحًا، عندكم من الله فيه برهان. (مسلم، رقم ٤٧٧١)

كذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة. (مسلم، رقم ٤٧٦٣)

دليل الشرط الثاني هو أن الإسلام قد وضع قاعدة "أَمْرُهُمْ شُورىٰ بَيْنَهُمْ"[٤]

لتنظيم عملية حكم الدولة وإجراء التغيير فيها. إذا تم تطبيق هذه القاعدة بشكل كامل، وكانت الحكومة تقوم وفقًا لها، ويمكن تغييرها وفقًا لهذا المبدأ، فإن محاولة تغيير الحكومة عبر الثورة أو الخروج عليها تعتبر خرقًا صريحًا لهذا المبدأ. وعليه، لا تعتبر هذه المحاولة مجرد تمرد ضد الحكومة، بل تمرّدًا ضد المسلمين أنفسهم. وفقًا للشريعة الإسلامية، هذا يعد فسادًا في الأرض، وهو أمر تستوجب له الشريعة القتل.

وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الصدد:

من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه.(٥)(مسلم، رقم ٤٧٩٨)

دليل الشرط الثالث هو أن قاعدة "أَمْرُهُمْ شُورىٰ بَيْنَهُمْ" تنص على أن حق الحكم في الإسلام يقوم على تأييد الأغلبية من المسلمين. وبما أن الحكومة تؤسس وتستمر بناءً على تأييد هذه الأغلبية، فإنّ الحق في التمرّد أو الخروج ضدّ الحكومة يقتصر على الشخص الذي يمكن التأكّد بشكل كامل من أن أغلبية الأمة الإسلامية تؤيّده، وأنها مستعدة لتقبل قيادته بدلاً من الحكومة الحالية.

وقد ورد عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خطبته:

"من بايع رجلًا عن غير مشورة من المسلمين، فلا يبايعه ولا الذي بايعه، تغرة أن يقتلا." (البخاري، رقم ٦٨٣٠)

إذا تم اتخاذ مسار الثورة المسلحة، فيجب على المتمردين أولاً أن يهاجروا إلى منطقة مستقلة ويؤسسوا فيها حكومة خاصة بهم. والدليل على ذلك هو أن الله سبحانه وتعالى لم يسمح لأي من أنبيائه، الذين هم آخر من يعرض الحجة، باستخدام السيف إلا بعد أن هاجروا وأقاموا جماعتهم في منطقة مستقلة، حيث أصبح لديهم سلطة حقيقية على تلك الجماعة بالقوة.

على سبيل المثال، سيدنا موسى عليه السلام لم يؤذن له بحمل السلاح إلا بعد أن تحققت هذه الشروط، وكذلك لم يسمح لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بالقتال إلا بعد أن أسسوا جماعة مستقلة في المدينة بعد بيعة العقبة. السبب في ذلك هو أن الجهاد بدون سلطة سياسية لا يعدو أن يكون فسادًا. فالنظام الذي لا يملك السلطة في تطبيق حدود الله ولا في معاقبة المجرمين، لا يمكن السماح

له بالقتال. وقد اتفق علماء الأمة على هذا الشرط، كما ورد في كتاب "فقه السنة":

"والنوع الثالث من الفروض الكفائية يشترط فيه الحاكم، مثل: الجهاد وإقامة الحدود." (السيد سابق، ٣/٣٠)

يقول الإمام حميد الدين الفراهي:

"الجهاد داخل البلاد دون هجرة لا يجوز. وتظهر هذه الحقيقة بوضوح من خلال قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام والآيات المتعلقة بالهجرة. كما أن أحداث حياة النبي صلى الله عليه وسلم تؤكد ذلك. والسبب في ذلك هو أن الجهاد لا يكون مشروعًا إلا إذا كان تحت قيادة أمير قوي ومؤهل. فإذا لم يكن الجهاد بقيادة صاحب سلطة وتنظيم، فإنه يصبح مجرد فوضى وفتنة وفساد."[٦]

(تفاسير الفراهي، ٥٦)

كتب الأستاذ الإمام أمين أحسن الإصلاحي في كتابه "دعوة الدين وطريقتها العمل" موضّحًا هذا الشرط في قوله:

"السبب الأول هو أن الله تعالى لا يرضى بوجود اختلال أو فوضى في أي نظام وإن كان باطلا، ما لم يكن هناك احتمال أن الذين يغيرون هذا النظام الباطل قادرون على إقامة نظام حق بدلاً منه. الفوضى والاضطراب حالة غير طبيعية، بل هي بعيدة عن الفطرة الإنسانية، حتى أن النظام غير العادل يصبح مفضلًا مقارنة بالفوضى. لهذا السبب، لم يعط الله تعالى لأي جماعة الحق في إشعال الحرب إذا كانت تلك الجماعة غير منظمة أو مجهولة القوة، التي لا يوجد لها قيادة قوية، ولا خضوع لأمير، والتي لم تختبر ولاءاتها، ولا تمثل جماعة منظمة يمكنها أن تقاوم انتشار الفوضى. لا يمكن الوثوق إلا في جماعة قد أصبحت بالفعل جماعة سياسية منظمة داخل نطاقها، ولديها ضوابط ونظام يمكن تطبيق مصطلح الجماعة عليها. قبل أن تحقق الجماعة هذه الصفة، يحق لها أن تسعى لتشكيل الجماعة، وهو جهاد في حد ذاته، لكن لا يحق لها أن تبدأ فعلاً في الجهاد بالسيف أو القتال."

السبب الثاني هو أن أي جماعة تشارك في القتال تكتسب سلطة على أرواح الناس وأموالهم، وهذه السلطة غير عادية وهامة لدرجة أنه لا يمكن لأي جماعة تحملها إلا إذا كان قادتها لديهم سلطة حقيقية وليست مجرد سلطة

أخلاقية. السلطة الأخلاقية لا تضمن قدرتها على منع الفساد في الأرض. لهذا السبب، لا يحق لقائد إسلامي أن يعطي أتباعه الحق في رفع السيوف بناءً على الثقة في السلطة الأخلاقية فقط. وإلا، هناك احتمال كبير أن تصبح تلك السيوف خارجة عن حدود الحلال والحرام، ويحدث ما كان من المفترض أن يمحى. الجماعات الثورية العامة التي تهدف فقط إلى قلب النظام القائم وإلغاء السلطة الحاكمة قد تخوض هذه المعركة دون اعتبار للأخلاقيات أو النظام، لأن هدفهم الأساسي هو الوصول إلى السلطة على حساب النظام الحالي. أما القادة العادلون في الجماعات الحق، فيجب عليهم أن يراعوا جيّدًا ما إذا كانوا قادرين على توفير نظام أفضل للناس مما يزيل النظام القائم، وهل هم قادرون على منع الظلم في صفوفهم قبل أن يزيلوه من الآخرين. إذا لم يكن لديهم القدرة على ذلك، فلا يحق لهم المخاطرة بأرواح الناس وأموالهم بناءً على الاحتمالات، بل قد يخلقون فسادًا أكبر مما حاولوا القضاء عليه." (دعوة الدين وطريقتها العمل، ٢٤١)

من الواضح أنه في النظام الديمقراطي لدولة باكستان، لا يمكن بأي حال من الأحوال اتباع الطريقتين اللتين تتعارضان مع الشريعة الإسلامية من أجل تحقيق الثورة السياسية. وبالتالي، فإن أولئك الذين يعرضون برامج لتجنيد الفدائيين بهدف إحداث تغيير من خلال الجهاد والقتال أو "النهي عن المنكر باليد"، فإن تصرفهم يتناقض تمامًا مع الشريعة التي يدّعون إحيائها وتنفيذها. في هذا السياق، كان أبرز دعاة الثورة الإسلامية في العصر الحديث، الشيخ السيد أبو الأعلى المودودي، قد أكّد في خطابه في الاجتماع التاريخي في ماجي كوته، قائلاً لأعضاء جماعته الإسلامية:

"في إطار نظام دستوري وديمقراطي، لا يجوز شرعًا اتخاذ أي طريق غير دستوري لتحقيق تغيير القيادة، ولذلك فإن دستور جماعتكم قد ألزمكم باتباع الأساليب الدستورية والديمقراطية لتحقيق الإصلاح والثورة."

(خطة العمل للحركة الإسلامية في المستقبل، ٢٠٥)

في الحالة الثالثة، أي السعي للوصول إلى الحكم والسلطة عبر السياسة الانتخابية، لا يمكن الاعتراض عليها شرعًا. ومع ذلك، إذا تأملنا الأمر، فإن هذه الطريقة تتطلب ثلاث شروط أساسية: أولًا، يجب أن يكون القائد في هذه

الحركة شخصًا يتمتع بكاريزما القيادة ويمتلك المهارات السياسية. فالأشخاص مثل إقبال، وأبي الكلام، وأبي الأعلى المودودي، الذين هم في الأساس علماء ومفكرون وباحثون، ليس هذا مجالهم. لهذه الغاية، ينبغي أن ننتظر شخصًا مثل جناح أو بوتو، الذي قد يبرز شخصيته السياسية ويقود هذا التحول. لا شك أن ظهور شخصية من هذا النوع في ميدان السياسة باعتبارها حاملة لراية الثورة الإسلامية سيؤدي إلى نتائج غير مسبوقة. ومع ذلك، يعتبر من المؤكد أنه إذا دخل العلماء والمفكرون هذا المجال، فسينتهي الأمر إلى ما قاله الشاعر غالب:

ہاں اہل طلب! کون سنے طعنۂ نایافت
دیکھا کہ وہ ملتا نہیں، اپنے ہی کو کھو آئے

(نعم، أيها الطالبون! من يسمع لانتقاد غير معثور عليه، فهو بذلك قد أضاع نفسه)

ثانيًا، عندما يتم تأسيس أي تنظيم، يجب أن يكون حزبًا سياسيًا مثل حزب الرابطة الإسلامية الباكستانية (مسلم ليك) وحزب الشعب الباكستاني (بيبلز بارتي) - حزب يتخذ من الثورة الإسلامية هدفًا رئيسيًا له، ويسعى في الأصل إلى جمع أولئك الأشخاص على منصته ممن لهم مكانة سياسية في المجتمع، بحيث يمكن أن يكونوا حملة هذه الدعوة في الميدان السياسي بوصفهم قادة طبيعيين - أما الأحزاب الدينية، فلا يمكن أن تكون مناسبة لهذا الغرض، ولن تتمكن من تحقيق أي نتيجة إيجابية، فالهزائم المتتالية وفقدان الهوية التدريجي سيؤديان حتمًا إلى المزيد من الإخفاقات.

ثالثًا، يجب أن تستند الاستراتيجية المتبعة في الانتخابات إلى الحقائق السياسية الراهنة. فالتوجه نحو الانتخابات ليس فقط وسيلة لتوسيع الدعوة وتعريف الآخرين بها، بل هو ساحة للتأكيد على المكانة السياسية في الواقع القائم، والهدف منها هو تحقيق النصر. فلا يمكن تجاهل مسألة النصر أو الهزيمة، فذلك يتناقض مع الفطرة الإنسانية، ومن المؤكد أن ما يخالف الفطرة لا يمكنه الاستمرار طويلًا في هذه الحياة. هذه هي المتطلبات الأساسية في هذا السياق.

إذا تم التغاضي عن هذه المتطلبات واعتمدت الدعوة طرقًا غير مناسبة، ستكون النتائج مشابهة لتجربة الجماعة الإسلامية في الخمسين عامًا الماضية. فكل شخص يمكنه أن يلاحظ أن السعي وراء النجاح في هذا الطريق قد أسفر

عن:

١- فقدان الدعوة تدريجيًا لروحها، وأصبح من الصعب العثور على أي أثر لحيويتها من حيث التذكير والفكر السليم والدافع لإحقاق الحق.

٢- فقدان القيادة في التنظيم على جميع المستويات من العلماء والمفكرين، ليتم تسليمها إلى أفراد لا تأثير لهم في المجال السياسي، ولا قاعدة علمية لهم، مما أدى إلى ضياع التأثير في السياسة والدعوة.

٣- التدهور الكبير في القيم الأخلاقية التي كانت قد جمعت بصعوبة، حيث ضاع الكثير منها بالفعل، ويبدو أن ما تبقى منها لن يصمد طويلًا.

لذلك، من المؤكّد أنه إذا كان يمكن أن تكون هذه الحالة مناسبة لداعية إسلامي، عالم أو مفكر، فإنها لن تكون كذلك إلا في حالتين: الأولى، أن تكون دعوته قد لاقت قبولًا في المجتمع، وأن قيادته قد تأصلت إلى درجة أن الانتخابات لن تعتبر مجرد إجراء دستوري للانتقال إلى السلطة، بل ستكون أداة لتأكيد سيطرته على القرار، بحيث يكون بإمكانه تحصيل تأييد الأمة لصالحه في أي وقت.

أما بالنسبة للحالة الرابعة، والتي تتعلق بمحاولة غزو عقول النخب من خلال الدعوة فقط، فإنها رغم كونها قد أصبحت غريبة إلى حد ما في عصرنا، إلا أن الحقيقة هي أن هذه الطريقة هي الأكثر تفضيلًا وفقًا لديننا وشريعتنا، وهي الأنجع في تحقيق النتائج المرجوة. (٧) فقد اختار الأنبياء دائمًا هذا الأسلوب في تاريخهم، وكان هذا هو الطريق الذي سلكوه في جميع الأوقات، ولم يختاروا طريقًا آخر أبدًا لتحقيق أهدافهم. وإنه من المؤكد أن دعوتهم قد قوبلت بالرفض في بعض الأحيان، وواجهوا المنفى والقتل مرارًا، لكنهم لم يتراجعوا عن هذا المسار ولم يسلكوا أي طريق آخر من أجل تحقيق النجاح. وقد وجههم الله دائمًا للبقاء ثابتين على هذا الطريق، وأكد لهم أن مهمتهم هي التعليم والتذكير، وأنهم لم يبعثوا لحكم الناس كولاة أو حكام.

إن هذا الطريق هو الذي تحقق من خلاله النجاح التاريخي، حيث نجحت دعوة سيدنا موسى عليه السلام في الوصول إلى قلوب قومه، ونجحت دعوة سيدنا يونس عليه السلام كذلك في إقناع قومه وزعمائهم. والأهم من ذلك، أن حكومة

النبي صلى الله عليه وسلم في يثرب قد تحققت بنفس الطريقة.

لقد رفضت النخب في مكة، على مدى أكثر من عشر سنوات من الجهد الشاق، دعوة النبي صلى الله عليه وسلم، وعندما لم يجد النبي صلى الله عليه وسلم تجاوبًا من قومه، عرض دعوته على القبائل الأخرى وفقًا لأمر الله. واستجاب بعض من أهل يثرب لهذه الدعوة، وفي غضون عامين فقط، استسلمت قيادة المدينة كاملة لدعوة الحق، ليعلن البيعة الثانية في العقبة، والتي كانت قرارًا بانتقال النبي صلى الله عليه وسلم إلى يثرب ليصبح إمامًا وحاكمًا عليها. وعندما وصل النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، قال أحد الصحابة، أبو قيس صرمة رضي الله عنه، في أبياته:

ثوى في قريش بضع عشرة حجة
يذكر لويلقي صديقا مئواتيا
ويعرض في أهل المواسم نفسه
فلم ير من يؤوي و لم ير داعيا

إذا قال أحد من السياسة في هذا البلد إنه يسعى لتحقيق الثورة الإسلامية، فسيوجه إليه النصيحة باتباع الطريقة الانتخابية لتحقيق ذلك. ولكن بالنسبة للعلماء، الطريق الوحيد الذي ينبغي عليهم سلوكه هو ما اختاره الأنبياء من دعوة، لأنهم ورثتهم. وإذا تخلى العلماء عن هذا الطريق، فإنهم سيتخلون عن إرثهم، وستكون النتيجة الحتمية أنهم سيفقدون تدريجيًا هويتهم في صراع السياسة الحزبي. مسألة اختيار هذا الطريق ليست من مسائل اختيارهم الشخصية، فالله سبحانه وتعالى قد بيّن في القرآن الكريم بوضوح منصبهم، وهو الدعوة فقط، وعليهم من خلال الدعوة أن يوجهوا قومهم وزعماءهم نحو التغييرات التي يريد الإسلام أن يحدثها في حياتهم الفردية والاجتماعية. كما قال تعالى:

وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُوْنَ لِيَنْفِرُوْا كَآفَّةً ۗ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآىِٕفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوْا فِى الدِّيْنِ وَلِيُنْذِرُوْا قَوْمَهُمْ اِذَا رَجَعُوْٓا اِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُوْنَ. (التوبة9: ١٢٢)

ما يجب أن يكون علينا خطة العمل للثورة الإسلامية؟

على الرغم من أن أسس خطة العمل هذه واضحة تمامًا في القرآن الكريم، إلا أن التفاصيل قد تختلف بالطبع حسب ظروف كل أمة واحتياجات كل عصر. في

دولة باكستان، من وجهة نظرنا، فإن الخطة المثلى للعمل هي كما يلي:

١- يجب إنشاء مؤسّسات تعليمية تقوم على أسس راسخة تستند إلى القرآن الكريم كمرجعية أساسية، بحيث تؤسس علوم الدينية مجددًا على أساس منابعها الأصلية: القرآن والسنّة.

٢- يجب إطلاق حركة فكرية تهدف إلى جذب العناصر المبدعة في الأمة، خصوصًا القادة وصناع القرار، بحيث تتوجه الدعوة إليهم يوما بعد يوم، مع التركيز على ترسيخ مفاهيم القرآن في أذهانهم.

٣- تعتبر الدعوة من خلال التذكير بالقرآن أساسًا رئيسيًا لهذه الحركة. يجب أن يدعى الناس إلى تبني منهج واضح يعرض كيف يمكن أن تحدث تغييرات جذرية في السياسة، والاقتصاد، والمجتمع، والتعليم، والنظام القضائي، بناءً على المبادئ الإسلامية. ويجب أن يكون هذا بعيدًا عن الانتماءات الطائفية أو التعلق بأشخاص محددين.

٤- من الضروري إنشاء شبكة من المدارس التعليمية على مستوى عالٍ في جميع أنحاء البلاد، الّتي تصل إلى مرحلة الثانوية العامة (FA/ FSc)، حيث يتم تدريس القرآن وتثبيت مفاهيمه في أذهان الطلاب ليتمكنوا في المستقبل من الثبات على دينهم.

٥- يجب أن يتفق دعاة الإسلام على أنه حتى تصبح الأغلبية في الأمة موافقة لدعوتهم، فإنهم يجب أن يواصلوا الدعوة والتحذير من أجل تحقيق التغيير المطلوب دون اللجوء إلى خطوات أخرى. إذا تم تنفيذ هذه الدعوة وفقًا للخطة المذكورة، فإن النتائج المتوقعة قد تكون كما يلي:

١- قد يأتي وقت، فيتمكن دعاة الإسلام من ترك مهمتهم للأجيال القادمة، مثلما حدث مع معظم أنبياء بني إسرائيل.

٢- قد تنغرس الدعوة في قلوب قادة الأمة، فيلجأون إلى التوبة والإنابة، ويتوجهون إلى الله بقلب صادق.

٣- قد تتحد الأمة حول قادة الدعوة بشكل يتيح لهم أن يقرروا شؤون الحكم والسلطة حسب ما يتناسب مع رغباتهم.

٤- قد يتبنى أحد القادة السياسيين هذه الدعوة ويستخدم السياسة الانتخابية

لتحقيق السلطة والحكم في النظام الديمقراطي الباكستاني بناءً على شخصيته.

الهوامش:

١- في عهد الرئيس الجنرال محمد ضياء الحق.

٢- انتخابات عام ١٩٩٣م، التي منيت فيها الجماعة الإسلامية في باكستان بأسوأ هزيمة في تاريخها.

٣- هنا يجب أن يكون واضحًا أن هذا الأمر يحتمل فقط، ولا يعدّ واجبًا ولا مستحبًا بأي حال من الأحوال.

٤- الشورى ٤٢: ٣٨.

٥- هذا التوجيه من النبي صلى الله عليه وسلم مبني على الآية ٣٣ من سورة المائدة (٥).

٦- كتب هذا المقال في سياق دعوة "الجماعة الإسلامية"، ولذلك نوقشت الدعوة هنا كوسيلة من وسائل التغيير الثوري. ومع ذلك، يجب أن يتضح أن "الثورة السياسية" ليست هدفًا أصيلًا لهذه الدعوة في ميزان الدين. فالهدف الحقيقي لها، كما هو منصوص عليه في القرآن الكريم، هو "لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ"، ويجب على من يتصدى لهذه المهمة أن يقوم بها دومًا على أساس "مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ".

٧- للتفصيل، ينظر: كتابنا "ميزان"، باب "قانون الدعوة".

بقلم: الأستاذ محمد حسن إلياس
ترجمة من الأردية: الأستاذ عثمان فاروق

تصوّر "الواجب" في الفقه الحنفي

تتميّز الشريعة الإسلامية بأن أوامر الله تعالى فيها تأتي على وجه من القطع والوضوح، يخلو من أي غموض أو التباس. وهذه التوجيهات الثابتة هي التي عبّر عنها القرآن الكريم بلفظ "آيات محكمات"، أي تلك الأحكام القاطعة واليقينية التي تعبّر تعبيرًا مباشرًا عن الإرادة الإلهية، وتمثّل الأساس التشريعي للدين.

ولفهم هذه الأحكام على وجهها الصحيح، لا بد من النظر في طبيعة كل حكم شرعي، من حيث درجة الطلب التي وجّهها الشارع إليه:

فهل هو طلب جازم على جهة الإلزام، كالصلاة المفروضة التي يجب على كل مسلم مكلّف أداؤها؟

أم هو طلب غير ملزم، يدخل في دائرة الاستحباب والاختيار، كالسعي بين الصفا والمروة، الذي هو سبب للأجر والثواب، إلا أن تركه لا يترتّب عليه إثم أو مؤاخذة؟

وعلى هذا الأساس، تمّ تصنيف الأعمال النفلية، أي التي لا تندرج تحت الإلزام، لكنها تعد من أسباب القرب إلى الله تعالى، لما يترتب عليها من الأجر والثواب. وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ١٥٨)

وهذا نص صريح يبيّن أن فعل الخير الاختياري، وإن لم يكن على وجه الوجوب، يعدّ من الأعمال المقبولة والمقدّرة عند الله، وهو وسيلة مشروعة لنيل رضاه وقربه.

على خلاف باقي المذاهب، ذهب الحنفية -بناءً على اجتهادهم الفقهي- إلى إثبات مرتبة ثالثة بين "الفرض" و"النفل"، أطلقوا عليها اسم "الواجب".

يرى الحنفية أن هناك من الأفعال ما هو مطلوب من جهة الشارع بطريق التأكيد، إلا أن دليله لا يبلغ درجة القطع، بل يستند إلى دليل ظني.

وبما أن هذه الأفعال تحتل منزلة أرفع من النفل، وأدنى من الفرض، فقد رأى الحنفية ضرورة تصنيفها في درجة مستقلة، وهي "الواجب". وتعدّ هذه المرتبة من أبرز معالم التحليل الأصولي عندهم، إذ تسعى إلى ضبط مراتب التكاليف الشرعية على نحو دقيق ومنهجي.

لقد شعر الحنفية بالحاجة إلى هذا التقسيم الاجتهادي حينما واجهوا عددًا من العبادات والأعمال التي ثبت عن النبي ﷺ ملازمته لها والتزامه بها، ولكنها لم تنقل إلى الأمة بطريق التواتر أو النص القطعي، بل وردت عن طريق الأدلة الظنية.

وقد رأى الحنفية أن إدراج هذه الأعمال تحت مسمّى "النفل" ينقص من شأنها، ويتعارض مع ما ورد فيها من تأكيد شرعي والتزام عملي من الرسول ﷺ. لذا اختاروا لها مصطلح "الواجب"، ليعبّر عن موقعها الوسيط: فلا تعدّ فرضًا لعدم قيام دليل قطعي عليها، ولا تُعامَل كنوافل عادية يتسامح في تركها.

وبمرور الزمن، أصبح "الواجب" في الفقه الحنفي مرتبة مستقلة من مراتب الأحكام التكليفية. فهو عندهم: دون "الفرض" من حيث قوة الدليل، لكنه فوق "النفل"

من حيث وجوب الالتزام به.

وعلى هذا، فإن العمل بالواجب لازم شرعًا، وإن كان الاعتقاد بفرضيته غير ملزم. كما أن تركه لا يبطل العبادة ولا يمسّ أصل الإيمان، بخلاف الفرض.

وقد عبّر الإمام السرخسي رحمه الله عن تعريف "الواجب" بهذا الضبط الدقيق، حيث قال:

> "فأما الواجب فهو: ما يكون لازم الأداء شرعًا ولازم الترك فيما يرجع إلى الحل والحرمة... من غير أن يكون دليله موجبًا للعلم قطعًا."
>
> (أصول السرخسي، ١/١١١)

وهذا التعريف يعبّر بدقّة عن رؤية الحنفية للواجب بوصفه مرتبة وسطى بين الفرض والنفل، إذ يطلبه الشارع طلبًا جازمًا من حيث العمل، دون أن يرقى دليل إثباته إلى درجة القطع.

وتتجلّى التطبيقات العملية لهذا المفهوم الأصولي بوضوح في مختلف أبواب الفقه الحنفي. فعلى سبيل المثال:

يعدّ القراءة في الصلاة فرضًا عندهم، لأن الأمر بها ورد في نص قرآني قطعي. بينما تعدّ قراءة سورة الفاتحة واجبة، لا فرضًا، لأن دليلها عندهم هو خبر آحاد، وهو ظني الثبوت. وبناءً عليه، فإن ترك سورة الفاتحة لا يبطل الصلاة عند الحنفية،

ولكنه ينقص من كمالها ويخلّ بتمامها، لما في ذلك من مخالفة لمقتضى الواجب.

ومن الأمثلة الأخرى المشابهة:

إعفاء اللحية، فإن الحنفية يعتبرونه واجبًا، رغم أن الأحاديث الواردة فيه لا تبلغ درجة التواتر أو القطع، لكن لما فيها من تأكيد وتشديد من النبي ﷺ، فقد رأوا أن مكانتها الشرعية أرفع من النفل، وتستحق أن تدرج ضمن الواجبات، لإبراز أهميتها ورفع منزلتها.

في رأينا المتواضع، إن هذا التصوّر الحنفي لإثبات الأحكام الشرعية، يثير على المستوى الأصولي عددًا من الإشكالات.

وأهمّ هذه الإشكالات يتعلّق بأساس تصنيف الأحكام إلى "فرض" و"واجب" و"نفل"، إذ إن طبيعة أي حكم شرعي لا يمكن أن تحدّد اعتمادًا على الفهم العقلي أو القياس الذهني، ولا يمكن أن تبنى فقط على نوع الدليل، سواء كان قطعيًا أو ظنيًا.

إن نوعية النقل، مهما بلغت من القوة، لا تكفي بذاتها لتكون معيارًا مستقلًا لتحديد الصفة الشرعية للحكم، سواء كان فرضًا أو نفلًا.

فالمرجع الوحيد في بيان مراتب الأحكام إنما هو الشارع، أي محمد رسول الله ﷺ، الذي فوّضه الله تعالى بالتشريع، وأناط به مهمة تحديد طبيعة الأحكام الشرعية، ودرجتها في سلم التكليف.

وبالتالي، فإن إضفاء وصف "الوجوب" على عملٍ ما لمجرد وجود تأكيد أو

مواظبة أو التزام عام من النبي ﷺ، دون صدور تصريح منه بوجوبه، يُعدّ تجاوزًا للحدود، وتدخّلا غير مشروع في مقام التشريع.

وقد أشار الإمام الشاطبي إلى هذا الأصل الأصولي بدقّة، حيث قال:

"فليس لغير الشارع أن يجعل شيئًا من ذلك فرضًا أو نفلًا."

(الاعتصام، ٣٥٤/٢)

لقد بلّغ رسول الله ﷺ جميع الأحكام الشرعية إلى الأمة بأعلى درجات الوضوح والعناية والقطع، من خلال القرآن والسنة، وبيّن بنفسه طبيعة كل حكم في حينه، سواء أكان فرضًا أم نفلًا أم مستحبًا. فالأعمال التي ألزم بها النبي ﷺ أمته، انتقلت بالضرورة عبر الإجماع والتواتر العملي، لكن لا يصحّ اعتبار هذين الطريقين دليلًا على الوجوب، بل هما نتيجة طبيعية للإلزام التشريعي الذي صدر عن النبي ﷺ بقول أو فعل أو تقرير.

ومن الصواب القول إن الأحكام الشرعية المستقلة في ذاتها، والتي وصلتنا عن طريق مصادر قطعية كالقرآن والسنة، إنما نقلت إلينا عبر وسائل قطعية كذلك، كالإجماع والتواتر. غير أن هذا لا يعني أبدًا أن وسيلة النقل نفسها تُحدّد طبيعة الحكم الشرعي؛ إذ إنها ليست سوى وسيلة لنقل إرادة الشارع، وليست مصدرًا للتشريع في ذاتها.

فالعمدة في معرفة طبيعة الحكم، ليست في طريق نقله، بل في الإرادة التشريعية للنبي ﷺ، التي تتجلى من خلال قوله أو فعله أو تقريره. فهي المصدر الوحيد الذي يعتدّ به في تحديد ما إذا كان الحكم فرضًا أو نفلًا أو غير ذلك.

وبناءً على هذا الأصل، فإن الرغبة في تعظيم شأن عمل ما أو إبراز مكانته يمكن أن تتحقق عبر الوعظ، والنصيحة، والترغيب، وهي وسائل مشروعة لتشجيع الأمة على الخير. لكن لا يجوز أن تتحوّل هذه الوسائل إلى أداة لتغيير الحكم الشرعي أو لترفيع مرتبته من نفل إلى وجوب، ما لم يدلّ على ذلك نصّ تشريعي صريح.

فالوعظ والترغيب وسائل إرشادية، لا تتضمن بذاتها أيّ مقتضى تشريعي، ومن ثَمّ فإن معيار الحكم ومصدره يظل محصورًا في إرادة النبي ﷺ التشريعية، كما ظهرت في قوله، وفعله، وتقريره. يمكن توضيح هذا الأمر بمثال بيّن:

فالأضحية عبادة عظيمة، ورد ذكرها في القرآن الكريم، ونقلت فضائلها في الأحاديث النبوية، وشهد عليها عمل الصحابة الكرام، واستمر عليها العمل المتوارث في الأمة، مما يعكس جلالتها ومكانتها. ومع ذلك، فإن رسول الله ﷺ لم يوجبها على الأمة، ولهذا فإن حقيقتها الشرعية تبقى في دائرة "النافلة"، وإن لم تكن نافلةً عادية؛ إذ تمتاز بمكانة سامقة لما تحمله من دلالة على شعائر الإسلام، وارتباطها بالإيمان، وانتمائها إلى سنة الخليل إبراهيم عليه السلام.

ومن هنا، تتجلى الحقيقة الأصولية وهي أن طبيعة الأحكام الواردة في القرآن والسنة والحديث، أكانت إلزامية أم تطوعية، لا يمكن تغييرها استنادًا إلى مصدر ظني، أو تواتر تاريخي، أو بناءً على فهمنا واجتهادنا الشخصي.

إن تصنيف الحنفية لمرتبة "الواجب"، رغم أنه محاولة لتنظيم الرغبة في أداء النوافل وتحقيق الضبط الفقهي، يفضي على المستوى الأصولي إلى إشكال معرفي خطير، يتمثل في تسليم مهمة التشريع، شيئًا فشيئًا، إلى الاجتهادات الفقهية والقرائن الظنية، بينما يختص بها النبي ﷺ وحده.

وهذا هو التساؤل الجوهري الذي يستدعي تدبرًا عميقًا.

يرى بعض أهل العلم أن هذه التفرقة تستفاد من القرائن الداخلية للنصوص ومجموع الأدلة، ويقولون: "إنه قد تظهر من الشارع تأكيدات تجعل من غير الممكن إبقاء الحكم في دائرة النافلة فقط."

وهذا صحيح فقط إذا كانت تلك التأكيدات موجودة صراحة في النص، ودالة على إرادة الشارع.

أما إذا لم يوجب الشارع الفعل صراحة، فإن استنادنا إلى الفهم أو الانطباع الاجتهادي لجعل الحكم واجبًا، يعدّ تجاوزًا لحدود التشريع.

نعم، يمكن تصنيف النوافل ضمن درجات متفاوتة، وفقًا للقرائن والاعتبارات، ولكن هذه التصنيفات يجب أن تظل داخل إطار "النافلة"، ولا يصح أن تتحول إلى إلزام.

ومن التأويلات الشائعة كذلك أن المجتهد، حين يرى تعارضًا بين الأدلة أو تباينًا في القرائن، يلجأ إلى الاحتياط فيحكم بوجوب الفعل، كما يظهر مثلًا في استعمال مصطلح "المكروه التحريمي" في الفقه الحنفي.

غير أن هذه التأويلات لا تستقيم من حيث المبدأ، لأن مصطلح "الواجب" في هذا السياق لا يستخدم على سبيل الاحتياط، بل على أنه طلب شرعي ملزم.

فإذا كان هذا الإلزام قائمًا على دليل ظني فقط، فإن السؤال الجوهري يظل قائمًا: هل يمكن أن يكون فهم المجتهد بمفرده مصدرًا من مصادر التشريع؟

كما يقال أحيانًا: إن اجتماع عدة قرائن على وجوب فعل ما، وإن كانت ظنية، يمكن أن يكون دافعًا لقبوله واجبًا. لكن المسألة الأصولية الحاسمة هنا هي: هل جعل الشارع نفسه من هذا المجموع دليلاً على الوجوب؟

فإن لم يكن هناك نص قاطع يدل على ذلك، فإن هذا الفهم يظل في دائرة الاستنباط الفقهي، ولا يرقى إلى مرتبة التشريع.وفوق هذا، إذا سلّمنا بإمكان بناء الأحكام الإلزامية على مصادر ظنية، فإننا نواجه إشكالًا أصوليًا آخر:هل من المعقول أن الشريعة تكلّف المكلفين بأحكام إلزامية لا يمكنهم الوصول إليها إلا من خلال قرائن ظنية؟

فإذا لم تكن هذه القرائن في متناول كل مسلم، فكيف يطالب بوجوبها؟ وهل يكون حينئذ مخاطبًا بها شرعًا؟

كل هذه النقاط تدفعنا إلى نتيجة أصولية واضحة، وهي أن مرتبة الأحكام الشرعية، فرضًا أو نفلًا أو استحبابًا، لا يمكن أن تعتمد إلا إذا كانت محددة من قبل الشارع نفسه.

فالشريعة مصدرها الوحي الإلهي، وأساسها إرادة النبي ﷺ التشريعية، ولايجوز أن تبدّل مراتب الأحكام إلا بدلالة قاطعة صادرة عنه، أما القرائن الظنية أو الفهوم الاجتهادية، فلا يجوز أن تستقل بتحديد مرتبة من مراتب التكليف.

السيد منظور الحسن

نقله إلى العربية: د. محمد غطريف شهباز الندوي

موقف الأستاذ غامدي من قضية نزول المسيح

[مقتبس من حوار الأستاذ غامدي مع محمد حسن إلياس]

(الحلقة الخامسة)

ثانياً: عبارة 'رَافِعُكَ اِلَيَّ' تمنع من أخذ معنى مجازي لكلمة 'توفىٰ.

نعم، من الصحيح أن فعل "توفىٰ" يستخدم أيضًا في المعنى المجازي للموت ولكن في هذا السياق لا يمكن استخدامه بهذا المعنى. والسبب في ذلك هو أن الجملة ليست محدودة بعبارة "اِنِّیْ مُتَوَفِّيْكَ"، بل تأتي بعدها كلمات "رَافِعُكَ اِلَيَّ أيضاً. فهذه الكلمات تمنع أن يُحمل "توفىٰ" على معنى الموت.

في هذا السياق يستدل المولانا المودودي بأن هذه الآيات في سورة آل عمران نزلت في الواقع لدحض ذلك الاعتقاد الباطل لدى المسيحيين، الذي اعتقدوا بموجبه في ألوهية عيسى عليه السلام . إذنيتطلب هذا السياق للآيات أنه لو كان قد توفي، لكان من المناسب استخدام أسلوب يحمل معاني نهائية وصريحة للموت والتحلل إلى تراب بدلاً من الأسلوب المحتمل المعاني. ولكن القرآن استخدم العبارات "رَافِعُكَ اِلَيَّ". هذه الألفاظ ليست صريحة في مفهوم الموت فقط، بل تحتوي على احتمال كامل لمفهوم الحياة. في محل دحض عقيدة الألوهية، فإن هذا الأسلوب يدل على أن الله رفعه إليه حيًا دون أن يعطيه الموت فيقول:

"هنا يجب أن نفهم أن هذا الخطاب الكامل في القرآن هو في الواقع للرد والتصحيح على عقيدة المسيحيين في ألوهية المسيح. وكانت هناك ثلاثة أسباب رئيسية لظهور هذه العقيدة بين المسيحيين:

١- ولادة المسيح المعجزة

٢- معجزاته الواضحة المحسوسة

٣- رفعه إلى السماء، الذي يُذكر بوضوح في كتبهم

وقدأكد القرآن على الأمر الأول وصرح بأن ولادة المسيح بلا أب كانت مجرد معجزة من معجزات قدرة الله، فإن الله يخلق من يشاء كيف يشاء، وهذه الطريقة غير المعتادة للولادة ليست أبداً دليلاً على أن المسيح كان إلهاً أو يشترك في الألوهية بأي شكل من الأشكال.

والأمر الثاني أيضا أكده القرآن وذكر معجزات المسيح واحدة تلو الأخرى، لكنه أوضح أن كل هذه الأعمال قام بها بإذن الله، ولم يفعل شيئًا بمحض إرادته، لذلك لا يوجد في أي من هذه الأمور ما يبرر استنتاجكم بأن للمسيح أي حصة في الألوهية.

والآن، بالنسبة للنقطة الثالثة، إذا كانت رواية المسيحيين خاطئة من الأساس، فلكان من الضروري لدحض عقيدة ألوهية المسيح عندهم أن يقال بصراحة أن الذي جعلتموه إلهًا وابن الله قد مات واختلط بالتراب، وإذا كنتم تريدون مزيدًا من التأكيد، فاذهبوا إلى المكان الفلاني لتروا قبره. لكن، بدلاً من فعل ذلك، لا يقتصر القرآن على عدم التصريح بموته فحسب، بل يستخدم أيضًا ألفاظًا تحمل على الأقل احتمالية رفعه حيًا، بل ويزيد المسيحيين علمًا بأن المسيح لم يُصلب أصلًا. بمعنى آخر، الشخص الذي قال في اللحظة الأخيرة "إيلي إيلي لما شبقتاني"[١] والذي تحملون صورته على الصليب لم يكن هو المسيح، بل أن الله قد رفع المسيح قبل ذلك .

بعد ذلك، فإن الأشخاص الذين يحاولون استنباط مفهوم وفاة المسيح من آيات القرآن، فإنهم في الواقع يثبتون أن الله سبحانه وتعالى لا يمتلك المهارة في التعبير عن مقصوده بعبارة واضحة وبسيطة. أعاذنا الله من ذلك."

(تفهيم القرآن ١/ ٢٥٧-٢٥٨)

---

[١] هذه آية من مزامير داؤد أي الزبور. و يعني: "يا إلهي! يا إلهي! لماذا تركتني؟" (مزمور ٢٢: ١). ووفقًا للإنجيل، عندما صلب يسوع، كرر هذه الكلمات بالصراخ. (متي ٢٧:٤٦)

وحجة العلامة أنور شاه الكشميري هي أن "توفى" في الأصل يعني الأخذ بالكامل ويستخدم هذا اللفظ كناية عن الموت. ومن المعلوم في اللغة أن أي كلمة تُستخدم كناية فإنها تظل تحتفظ بمعناها الحقيقي ولا يمكن أن تكون منفصلة أو مختلفة عنه. وعليه، عندما يُستخدم "توفى" بمعنى مجازي للموت، فإنه يشتمل على المعنى الحقيقي للإتمام والإكمال، وهذا المعنى لا ينفصل عنه في أي حال. وفي هذه الحالة يُفهم منها الموت الأبدي، الذي هو تسمية لأمر كامل ومستقل عن الحياة. ولا يوجد بينهما في الأبد أي فجوة تعني الحياة أو تستلزم الحياة. بعبارة أخرى، أصبح لفظ "توفى" مناسباً ومستخدماً للموت لأنه ليس ناقصاً ولا منقسماً، بل هو كامل ومتكامل.

وفي الآية المذكورة من سورة آل عمران، لأن كلمات "رَافِعُكَ اِلَيَّ" تشمل الحياة لذا تصبح حمل "اِنِّیۡ مُتَوَفِّیۡكَ" على معنى الموت زائدة وغير ذات صلة. يمكن ربطها مع "اِنِّیۡ مُتَوَفِّیۡکَ" فقط عندما تحمَل "توفى" على معنى التسلم الكامل بدلًا من الموت، ثم تصبح بالكامل ذات صلة وذات معنى. فيقول:

"إذا كان "متوفي" في قوله تعالى" إني متوفيك' بمعنى 'مميت'، لما كانت هناك حاجة إلى 'رافعك إلي'. فتُوفي الذي يشتهر بمعنى الموت اليوم هو استعماله مجازًا وليس أصلاً من وضعه، لهذا فإن ما حققته هو أن المعنى الأصلي للكلمة هو الذي تتطلبه البلاغة ليكون هو المعنى المصداقي لها، لذلك كان معنى الآية: سأنهي أجلككاملة، والتي قد قُدرت لك، ولن يستطيع أعداؤك قتلك، بل سأميتك موتًا طبيعيًا.

'توفى' من البداية إلى النهاية تشمل كل العمر و 'رفع' يقع في الوسط. ولأن 'توفى' تقع عند طرفي العمر (لذلك ذكر 'توفى' أولاً) و 'رفع' يقع في الوسط، فإنها أُخرت، فيكون ذلك بمثابة استيفاء العمر في أوقاته. ... والنتيجة هي أنه يمكن الحديث عن 'توفى' في حالة عيسى عندما يكمل العمر كله، وذلك سيكون بعد النزول. وقد ذُكر هذا في سورة المائدة. وليس الأمر هنا وجود 'توفى' مرتين، إحداهما قبل الرفع والأخرى بعد النزول، ولا يصح القول بأن هناك تقديم وتأخير في عبارة 'متوفيك ورافعك إلي'." (حيات ابن مريم ١٢٧-١٢٨)

'رَافِعُكَ' يُقصَد بها رَفعُ الجَسَدِ والرُّوحِ كِلَيهِمَا

هذا هو جزء من الاستدلال السابق نفسه. الدليل هو أن ذات عيسى عليه السلام مكونة من الروح والجسد معًا كبشر. لذا عندما خُطِبَ عيسى عليه السلام بقول الله تعالى "رَافِعُكَ إِلَيَّ"، "إني رافعك إليّ"، فإن معناها أن الله سيرفع الإنسان الذي يُطابق اسم عيسى، وبناءً على ذلك، فهو مكون من الروح والجسد كليهما. ولذا، إذا رُفعت الروح فقط أو رُفع الجسد فقط، لكان البيان: إني رافع روحك أو إني رافع جسدك. بدون هذا التوضيح، إذا تم ذكر رفع المسيح عليه السلام، فإن المقصود هو رفع كيان المسيح الكامل الذي يتكون من الروح والجسد معًا. وكتب مفتي شفيع عثماني في "معارف القرآن:

"(ورافعك إلي) مفهومها واضح بأن الخطاب موجه لعيسى عليه السلام أنني سأرفعك إليّ، والجميع يعلم أن اسم عيسى ليس للروح فقط، بل للروح مع الجسد، لذا فإن تفسير رفع عيسى بأن الرفع كان روحانياً فقط، ولم يُرفع جسدياً، هو تفسير خاطئ تماماً." (٢/٧٦)

ثم مع تأكيد كلمة "الى" يكتب بشكل أوضح:

"في هذا الموضع، باستخدام لفظ 'رفع' مع لفظ 'الي' تم إزالة أي احتمال لمعنى مجازي، ففي هذه الآية قال: 'رافعك اليّ' وفي آية سورة النساء أيضاً حيث تم الرد على عقيدة اليهود، قال أيضاً: 'وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله اليه'. يعني أن اليهود لم يقتلوا عيسى عليه السلام يقيناً، بل إن الله رفعه إليه. و'الرفع إلى الله' معناه الرفع بروح وجسدٍ، أي رفعه حياً بجسده وروحه. "(٢/٧٦)

الرابع: سياق الكلام هو التعزية والتسلية بينما الموت يخالف التعزية

كما تم تأكيد هنا على أن السيد المسيح عليه السلام قد أعطي ضمان الاطمئنان بحمايته من أعدائه. وقد أُخبر بأن جميع مكائد الأعداء ستفشل وأن الله تعالى سيحفظه بكل طريقة. فكيف يمكن أن تُعطى في لحظة الطمأنينة هذه أخبار غير مرضية عن نهاية الحياة؟ في حالة الموت، يفوت كامل الغرض من الاطمئنان والراحة. وعند شرح هذا الدليل، يقول المولانا إدريس الكاندهلوي:

"إنجمهور الصحابة والتابعين وعامة السلف الصالحين يقولون إن في هذه الآية أن معنى "توفى" ليس الموت، بل أن المعاني الأصلية والحقيقية لـ "توفى" هي المراد، أي أخذ الشيء بالكامل، لأن بشارة "توفى" في وقت هجوم الأعداء

وإحاطتهم تعتبر لتثبيت وتطمين عيسى عليه السلام بأن لا يخاف من هجوم وإحاطة الأعداء. سأنتزعه بالكامل، روحاً وجسداً، من هؤلاء الأشرار. كان وجوده لهم نعمة عظيمة مني. وقد أثبتت أفعالهم أنهم أشرار وغير جديرين بأن تبقى لهم نعمة وجوده. عقوبة لإهمالهم وعدم تقديرهم هي أن تُسترد هذه النعمة بالكامل منهم

الغرض، المقصود من "توفى" في الآية هو الأخذ الكامل وليس الموت وهذا المعنى ليس مناسبًا هنا، لأنه حينما كان الأعداء المتعطشون للدم واقفين من كل جانب، فإن إخبار السيد المسيح عليه السلام عن وفاته لا يبعث على الارتياح أو الاطمئنان. كان هدف الأعداء هو الروح، وفي ذلك الوقت كان اللائق أن يقال: لا تقلقوا، نحن سنخرجكم من وسط أعدائكم بكامل السلامة والصحة، ولن يتمكن الأعداء حتى من الحصول على ظلكم. فإن كان معنى "توفى" في الآية هو الموت، فلن يكون فيه طمأنة لعيسى عليه السلام، بل بالعكس سيكون في ذلك طمأنة لليهود، وكأنه يُقال لهم: لا تهتموا ولا تشغلوا أنفسكم بفكرة قتل المسيح، فسوف أماته بنفسي وسوف أحقق أمنيتكم دون أن يكون عليكم أي عناء. فهذا لا يعتبر طمأنة للسيد المسيح عليه السلام، بل هو طمأنة لليهود."(معارف القرآن ٦٢٩/٨ - ٦٣٠)

خامساً: يمكن أخذ معنى الموت من مُتَوَفِّيْكَ' إذا فُهمت باعتبارها مؤخرة عن رَافِعُكَ

بعض اهل العلم يرون أن كلمة "توفى" هنا قد استُعملت في معنى الموت، ولكن من حيث الوقوع فهي متأخرة عن الرفع. أي أن الترتيب المذكور في الآية "إني متوفيك ورافعك إليّ"، ليس ترتيبًا زمنيًا. فإذا كانت "توفى" بمعنى الموت قد ذُكرت مُقدَّمةً، لكنها من حيث الوقوع مُؤخَّرة. والرفع بمعنى الارتفاع حيًّا ذُكِر مؤخرًا، لكنه من حيث الوقوع مُقدَّم. وقد أُشير بتقديم "توفى" إلى ذلك الحدث العظيم المذكور في الأحاديث، الذي سيبدأ بنزول المسيح ويكتمل بوفاة المسيح، وستُحمى من القتل والإهانة على الصليب، وتُعطى الموت الطبيعي بكل العزة والكرامة. بالإضافة إلى أن هذا التقديم يُبرز تكذيبًا لنظريتهم الباطلة في ألوهية المسيح، ويُوضِّح بأن المسيح ينتمي للجنس البشري، وسيأتي عليه الموت كما يأتي

على بقية البشر

في هذا السياق، إذا اعترض شخص على أن "رَافِعُكَ" يعطف على "مُتَوَفِّيكَ" واعتقد أن تسلسل السرد يتطلب اعتبار وقوع الموت قبل الرفع، فعليه أن يعرف أن واو العطف لا تدل على ترتيب الوقوع. توجد في القرآن الكريم أمثلة توضح أن الأحداث التي تحدث لاحقًا ذُكرت أولًا.

يقول المفتي شفيع عثماني:

"في "تفسير الدر المنثور" تُنقل هذه الرواية عن حضرة ابن عباس رضي الله عنه على هذا النحو: "روى إسحاق بن بشر وابن عساكر عن رواية جوهر عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه في تفسير آية 'إني متوفّيك ورافعك إليّ' هذه الألفاظ: أني سأرفعك إليّ، ثم سأقبض روحك في آخر الزمان وفاة طبيعية. (٣٦/٢)

إن خلاصة هذا التفسير هي أن معنى "توفى" هو الموت، ولكن هناك تقديم وتأخير في الكلمات. (رافعك) سيحدث أولاً و (متوفيك) سيأتي بعد ذلك، والحكمة والمصلحة في ذكر (متوفيك) قبل ذلك تشير إلى هذا الأمر الذي سيحدث في المستقبل، أي أن استدعاءه لن يكون دائماً، بل لفترة قصيرة، ثم ستأتي إلى هذه الدنيا وستنتصر على الأعداء، وبعد ذلك سيحدث موتك الطبيعي. وبهذه الطريقة، فإن نزولك مرة أخرى من السماء والفتح على الدنيا ثم حدوث الموت كان معجزة وأيضاً تكميلاً لتكريم عيسى عليه السلام، كما أنه كان إبطالاً لعقيدة الألوهية لدى المسيحيين. وإلا فإن ذهابهم إلى السماء وهم أحياء كان سيجعل هذا الاعتقاد الباطل والراسخ لديهم بأنه مثل الله تعالى حيٌّ قيوم. لذلك، بذكر كلمة "متوفيك" أولاً تم إبطال هذه الأفكار، ثم ذكر الاستدعاء إلى نفسه..

هذه العجائب القدرية المتعلقة بشخصية المسيح عليه السلام كانت سبباً للجهلة من النصارى أن يقعون في هذا الاعتقاد، بأنهم قالوا إنه إله، مع أنه إذا تأملنا في كل خطوة وكل شيء من هذه العجائب نجد في كل حادثة دلائل على عبوديته وخضوعه لأمر الله وتوصيفه بالصفات البشرية. ولهذا السبب، في كل مناسبة مثل هذه، أشار القرآن الحكيم إلى دحض عقيدة الألوهية. يصبح الشك أقوى مع رفعه إلى السماء، لذلك تم ذكر "متوفّيك" أولاً للقضاء على الشك. ومن

هذا نفهم أن في هذه الآية نفي نية اليهود كان مقصوداً، حيث أن اليهود كانوا ينوون قتل المسيح عليه السلام وصلبه، ولكن الله تعالى أحبط عزائمهم. ومن خلال تقديم وتأخير الكلمات، تم أيضاً نفي ادعاء النصارى بأنه إله، لأنه ليس منزهًا عن الموت، وسيأتي وقت سيموت فيه.(معارف القرآن ٢/٧٤-٧٦)

٢-النساء، الآيات ١٥٦-١٥٩

هَذِهِ الْآيَاتُ مِنْ أَوَاخِرِ سُورَةِ النِّسَاءِ. فِي هَذَا الْمَقَامِ بُيِّنَ أَنَّ الْيَهُودَ افْتَرَوْا عَلَى السَّيِّدَةِ مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ وَحَاوَلُوا قَتْلَ ابْنِهَا النَّبِيِّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَادَّعَوْا بِالزُّورِ أَنَّهُمْ نَجَحُوا فِي هَذَا الْفِعْلِ الْبَشِعِ. وَالْحَقِيقَةُ أَنَّهُمْ فَشِلُوا فِي هَذِهِ الْمُؤَامَرَةِ وَأَدْخَلَهُمُ اللهُ فِي الشُّبْهَةِ وَرَفَعَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَيْهِ. قَالَ تَعَالَى:

وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا. وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا. بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا. وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۚ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا.

يُستدل من هذا المقام على حياة عيسى عليه السلام. استدلال العلماء في هذا السياق يستند إلى نقطتين:

أولاً:إن عبارة "وماقتلوه" تمنع من أن يراد به مدلول الموت.

في الآية ١٥٧ من سورة النساء (٤)عبارة "وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ" تشير أيضًا إلى نفي موت عيسى عليه السلام . فإنالمعنى هو أن بني إسرائيل لم يتمكنوا من إيقاع الموت به. لم يستطيعوا قتله ولم يستطيعوا إهلاكه بالصليب. هذا النفي للقتل والصلب هو في الحقيقة مرادف لنفي الموت. وتختتم الآية بقول "وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (أيولم يقتلوا المسيح بيقين) مما يشكل نفيًا قاطعًا للموت. بعد هذا النفي القوي ليس صحيحًا أن يُحمل لفظ "توفى" في الآية ٥٥ من آل عمران -الذي ليس صريحًا في معاني الموت- على مفهوم الموت.

القاضي ثناء الله يكتب في "تفسير المظهري:[٢]

[٢] وافهم هذه الحجة من خلال مثال: إذا أعلن حاكم دولة أنه لن يسمح بنجاح مؤامرة

"إِنَّ الْمُرَادَ بِالتَّوَفِّي هُوَ الرَّفْعُ إِلَى السَّمَاءِ بِلَا مَوْتٍ يَشْهَدُ بِهِ الْوُجْدَانُ بَعْدَ مُلَاحَظَةِ قَوْلِهِ تَعَالَى: وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ. وَلَوْلَا نَفْيُ الْمَوْتِ عَنْهُ لَمَا كَانَ مِنْ نَفْيِ الْقَتْلِ فَائِدَةٌ إِذْ الغَرَضُ مِنَ القَتْلِ المَوْتُ." (٢/٥٦)

(ترجمة من الأردية)

لنفي أمة خيرية معينة، فلن يتمكن أعداؤه من اختطافه أو طرده من البلاد. وبعد ذلك، إذا قال في الجملة التالية مباشرة أنني سأطرد هذا المحسن بنفسي، فإن معنى طرده قد يكون إخراجه من براثن العدو، ولكنه لا يمكن أن يكون طرده خارج البلاد، لأنه إذا كان يعني طرده خارج البلاد، فإن المؤامرة سوف تنجح بالفعل. أي أن الحاكم سيفعل ما أراده العدو.

القرآنيات

البيان[1]

جاويد أحمد غامدي

بسم الله الرحمٰن الرحيم

سورة البقرة

(٥)

وَاِذۡ وٰعَدۡنَا مُوۡسٰۤی اَرۡبَعِیۡنَ لَیۡلَةً ثُمَّ اتَّخَذۡتُمُ الۡعِجۡلَ مِنۡۢ بَعۡدِهٖ وَاَنۡتُمۡ ظٰلِمُوۡنَ ﴿۵۱﴾ ثُمَّ عَفَوۡنَا عَنۡكُمۡ مِّنۡۢ بَعۡدِ ذٰلِكَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُوۡنَ ﴿۵۲﴾

وَاِذۡ اٰتَیۡنَا مُوۡسَی الۡكِتٰبَ وَالۡفُرۡقَانَ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُوۡنَ ﴿۵۳﴾

وَاِذۡ قَالَ مُوۡسٰی لِقَوۡمِهٖ یٰقَوۡمِ اِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ اَنۡفُسَكُمۡ بِاتِّخَاذِكُمُ الۡعِجۡلَ فَتُوۡبُوۡۤا اِلٰی بَارِئِكُمۡ فَاقۡتُلُوۡۤا اَنۡفُسَكُمۡ ؕ ذٰلِكُمۡ خَیۡرٌ لَّكُمۡ عِنۡدَ بَارِئِكُمۡ ؕ فَتَابَ عَلَیۡكُمۡ ؕ اِنَّهٗ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِیۡمُ ﴿۵۴﴾

وَاِذۡ قُلۡتُمۡ یٰمُوۡسٰی لَنۡ نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتّٰی نَرَی اللّٰهَ جَهۡرَةً فَاَخَذَتۡكُمُ الصّٰعِقَةُ وَاَنۡتُمۡ تَنۡظُرُوۡنَ ﴿۵۵﴾ ثُمَّ بَعَثۡنٰكُمۡ مِّنۡۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُوۡنَ ﴿۵۶﴾ وَ ظَلَّلۡنَا عَلَیۡكُمُ الۡغَمَامَ وَ اَنۡزَلۡنَا عَلَیۡكُمُ الۡمَنَّ وَ السَّلۡوٰی ؕ كُلُوۡا مِنۡ طَیِّبٰتِ مَا رَزَقۡنٰكُمۡ ؕ وَمَا ظَلَمُوۡنَا وَلٰكِنۡ كَانُوۡۤا اَنۡفُسَهُمۡ یَظۡلِمُوۡنَ ﴿۵۷﴾

وَاِذۡ قُلۡنَا ادۡخُلُوۡا هٰذِهِ الۡقَرۡیَةَ فَكُلُوۡا مِنۡهَا حَیۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدًا وَّ ادۡخُلُوا الۡبَابَ سُجَّدًا وَّ قُوۡلُوۡا حِطَّةٌ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطٰیٰكُمۡ ؕ وَ سَنَزِیۡدُ الۡمُحۡسِنِیۡنَ ﴿۵۸﴾ فَبَدَّلَ الَّذِیۡنَ ظَلَمُوۡا قَوۡلًا غَیۡرَ الَّذِیۡ قِیۡلَ لَهُمۡ فَاَنۡزَلۡنَا

---

[1] ترجمة معاني القرآن باللغة العربية المستخرجة من تفسير البيان للأستاذ جاويد احمد غامدي. نقله إلى العربية: د.محمد غطريف شهباز الندوي.

عَلَى الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا رِجْزًا مِّنَ السَّمَآءِ بِمَا كَانُوْا يَفْسُقُوْنَ ﴿٥٩﴾

وَاِذِ اسْتَسْقٰى مُوْسٰى لِقَوْمِهٖ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ؕ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ؕ قَدْ عَلِمَ كُلُّ اُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ؕ كُلُوْا وَاشْرَبُوْا مِنْ رِّزْقِ اللّٰهِ وَلَا تَعْثَوْا فِى الْاَرْضِ مُفْسِدِيْنَ ﴿٦٠﴾

واذكروا عندما وعدنا موسى أربعين ليلة، ثم صنعتم ذلك العجل من بعده، وفي ذلك الوقت كنتم تظلمون أنفسكم وتضطهدون أرواحكم. ثم سامحناكم وعفونا عنكم حتى بعد ذلك، لتكونوا شاكرين. (51-٥٢)

واذكروا عندما أعطينا موسى الكتابَ، والفرقان (للتمييز بين الحق والباطل) حتى تهتدوا. (٥٣)

واذكروا عندما قال موسى لشعبه: يا قومي، لقد ظلمتم أنفسكم بصنع هذا العجل، فارجعوا الآن إلى خالقكم واقتلوا (لذلك) أناسكم هؤلاء (بأيديكم)، إنه أفضل لكم في نظر باريكم وخالقكم. (ففعلتم ذلك) فقبل توبتكم. إنه حقًا هو الأكثر غفرانًا، لطفه ورحمته أبدية. (٥٤)

وتذكرون عندما قلتم: يا موسى، لن نصدقك حتى نرى الله جهرة أمامنا. فعندئذٍ أخذتكم الصاعقة وبقيتم شاهدين حيارى. ثم بعثناكم من بعد موتكم ذاك لكي تكونوا شاكرين. وقد ألقينا عليكم ظلال الغيوم، وأنزلنا عليكم المنَّ والسلوى، و(قلنا) كلوا وتناولوا من هذه الأشياء الطيبة التي أعطيناكم إياها. (للأسف، أولئك الذين مُنحوا هذه النعم لم يقدروها حق قدرها)، و(بالتالي) لم يسيئوا إلينا، لكنهم استمروا في ظلم واضطهاد أنفسهم. (٥٥-٥٧)

واذكروا عندما قلنا: ادخلوا هذه المدينة، ثم كلوا منها من حيث شئتم، وادخلوا بابها منحنين رؤوسكم، وداعين ربكم: "ربنا اغفر لنا خطايانا"، سنغفر لكم ذنوبكم وخطاياكم، وسنحسن إلى الذين يحسنون منكم، وسوف نعطي لهم المزيد. ثم استبدل الظالمون ما قيل لهم بشيء آخر. فأنزلنا من السماء عذابًا على أولئك الظالمين بسبب العصيان والفسق الذي كانوا يأتون به. (٥٨-٥٩)

وتذكرون، عندما دعا موسى من أجل الماء لشعبه، قلنا: اضرب عصاك على هذا الحجر (فضرب)، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا، بحيث خصّت كل طائفة منهم

مكانًا لنفسها لأخذ الماء. كلوا واشربوا من قوت الله ورزقه هذا (يا بني إسرائيل) ولا تسببوا الفساد في الأرض. (٦٠)

(يُتبع)

الأحاديث

انتقاها: جاويد أحمد غامدي

١

عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي لم يقم منه: "لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. لولا ذلك أُبرِز قبره، غير أنه خُشي – أو خشي – أن يُتخذ مسجدًا".

(رواه البخاري، رقم ١٣٩٠ ومسلم، رقم ٥٢٩)

٢

عن عبد الله بن حارث النجراني عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس، وهو يقول: "إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله قد اتخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا، ولو كنت متخذًا من أمتي خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا. ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك". (رواه مسلم، رقم ٨٣٢)

٣

عن جابر قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُجصص القبر، وأن يُقعد عليه، وأن يُبنى عليه. (رواه مسلم، رقم ١٦١٦)

جاويد أحمد غامدي
ترجمة من الأردية: د. محمد غطريف شهباز الندوي

مقامات

(الحلقة الرابعة)

أستاذ حارس (بعدي)

إن موطني أبا عن جد كانت قرية 'داؤد' في مديرية سيالكوت ولكني ولدت في قرية متجاورة لپاك فتن ونشأت وترعرعت في هذه البلدة وضواحيها. وبلغت من العمر حدا حيث يترك العقل التفكير في بعض الأحايين والقلب لا يتقلب في بعض الأوقات ونتيجتًا لذلك نأتي بالأعاجيب التي نستغربها جدا فيما بعد، وقال الشاعر الاردي مامفهومه:

"إني في هيام الحب اتردد هنا وهناك ثم اقضي العجب على ذلك."

فمنذ عشرين سنة من اليوم قد كنت طالباً للجماعة السادسة أو السابعة. ومع التعليم المدرسي الرسمي قد بلغت آنذاك في كتب الدرس النظامي إلى "كافية" و"شرح الجامي" كما يغلب على ظني. وقد فتحت عليّ أبواب مدينة العلم فقد كنت أخرج إلى المكتبة المدنية كل يوم بعد العصر. وكانت بيتي في ضاحية، فخرجت منه وبلغت كل يوم المكتبة ماشيا على الأقدام فما أغرب وأجمل شوق الطلب وذوقه. فهذا ظل عملي الروتيني أعواما وأعواما ولكن لم اتذكر أن اشتكى طبعي التعب والاكتئاب، وهو كما قال الشاعر الفارسي:

التعب والاكتئاب لا يلتحقان بطالب صادق

فإن العشق مرشده في الطريق بل العشق هو المنزل له.

وفي طريقي إلى المكتبة رأيت ذات يوم أن حارساً لأحد البنوك أنظاره تتعاقبني إلى مدى بعيد. وكنت صغيراً فطرأ على هواجس الخوف وأحاسيس الحيرة الناشئة من ذاك الوضع أول مرة. ولكن لما تكرر ذلك لأيام عديدة غلب إحساس التجسس على الذعر والحيرة. كنت أريد أن استفسره عن ذلك فما أجترئ وهو أيضا كما شعرت، يريد أن يقول لي شيئا فما يهتدى له، كأنما كان الأمر كما وقع لغالب الشاعر الاردي في معترك العشق:

"إذا كان الأدب متردداً وفي الصراع فما ذا يكون وإذا كان الحياء مانعاً من القول فما ذا يكون؟"

ومضت أيام كثيرة، وفي مساء كنت أرجع من المكتبة حاملا كتاباً علميا في موضوع الخلافة وكنت أتصفح أوراقه أثناء قطع الطريق ولم انتبه أن بناء البنك قد قرب. ونظرت فإذا به قائما صاداً طريقي ثم نظرت إلى وجهه، تقطر قطرات الماء من لحيته والأغلب أنه كان قد توضأ الآن. ونظراته براقة وجبهته تتلالؤ من جمال السجود. فسألني بأسلوب ودي أنت تقرأ هذا الكتاب؟ أنت تقرأ الكتب العلمية كهذه ماعدا الكتب الدراسية؟ فأومأت بالموافقة ، فقال: ذات يوم رأيت كتاباً عربيا في يدك ألك معرفة باللغة العربية؟ نعم لي إلمام بها ،أجبت. أين تعلمت اللغة العربية؟ لما سألني هذا بالعربية قضيت العجب ولم أوقن بسماعتي لساعة. فانظر إليه مرة وتارة أنظر إلى بذلته الجندية الحرسية، فإني قد رأيت الكثير من الجهلاء في ملابس الخاصة وكانت هذه تجربة أولى أن رأيت عالماً في ملابس العامة. إقرأ الكتاب الذي تحمله فإنه كتاب رجل كبير، وسأعطيك كتاباً آخر في نقد هذا الكتاب نقداً علمياً. ومن الضروري أن تقرئه أيضا قبل إقامة رأي فإن في دنيا العلم الأشخاص لا يحملون أية أهمية بل الدليل يحمل كل مكانة هنا.

ثم إنه منحني كتاباً في اليوم القابل وختمته في اليوم نفسه، وهذه كانت فرصة أولى إذ وقفت على أهمية الدليل وهذا الوقوف أكبر رأس مالي ومتاع الحياة لي حصلته من حارس. وفيما بعد قد حصلت على الشهادة العليا من أكبر معهد علمي بلاهور في الفلسفة والأدب الإنجليزي ولم أحصل أكثر من ذلك من هناك، هذه هي حقيقة وكم فكرت أثناء الطلب أن جميع زملائي وأساتذتي ليتهم يمرون

بذلك الممر أيضا في طريقهم إلى المكتبة.

وبعد أعوام كثيرة وفي الشهر الماضي ذهبت إلى پاك فتن ولقيت الشيخ ولي محمد على باب من ذاك البنك. فكان اليوم أيضا قائما بعد عشرين عاماً كما رأيته أول مرة، ولا أعرف هل تخرج من مدرسته شخص آخر أم لا:

"أو إنه ترك أسلوبه وهجر تعليمه من بعدى."

[١٩٨٦م]

الرفيق الصبوحي

قال الشاعر الفارسي ما مفهومه:

"أنا لست هجرت الأصدقاء في أثناء السفر ورغم ذلك وبالأسف اضطررت أن أطوي منازل السفر بوحدي أنا فقط."

إن قدوم الشتاء يكون دوماً باعثا على الاهتزاز في طبعي. فحينما أرى نيرانا طارية صاعدة وأنا جالس أمام مدفئة الغاز قبل غروب النجوم وأحاول أن أربط بين الخيال والقلم وأقرض الشعر فنظراً إلى ماحصل لي آنذاك من أسباب الطمأنينة وسكون الخاطر لم يبق لي غم ولا هم:

إذا اقتنع القلب فلا حزن للإفلاس
لا قلق إذالاتضطرب بشأن إرضاء القلب

ولكن في صباح نوفمبر ٢٧ من عام ١٩٨٨م لهذا الفصل لما أشعلت النيران الخامدة أحسست بخلو عالم المشاعر لي بذاك الاهتزاز خلوا كاملاً. فإن مدفئة المجمرة الساكتة جرت فيها الحياة بإشعال العود الثقاب ولكن صدى القلب الذي ارتفع ذلك اليوم كى يتناغم معها كأنه كان نغمة دامية وقال الشاعر الأردي:

"اين نار السقر من حرقة القلب الذى يحترق بسبب الغموم والهموم الداخلية."

حينما نبدأ سفر الحياة يتيسر لنا رفقاء وأصحاب يسيرون معنا في أغلب الأحوال. وهؤلاء الزملاء كثيراً ما يتعاهدون عهود الوفاء، وكثيراً مايعقدون فيما

بينهم توقعات كبيرة وفاءً بتلك العهود. ولم تمض أيام إلا وتتناثر عهود الوفاء كبيوت خطت على الماء والرمل ويندرس عالم التوقعات كاندراس صحراء نجد. ولا يُتخيل في ابتداء السفر أن حقائق الحياة مريرة إلى هذا الحد. ولكن إذ شربت الأمعاء سموم الحياة خرج إنسان الداخل ،ويتعارف كل أحد غيره من الناس.

وفي ذلك الوقت إذا استقام أحد بوفاءه لم يلق إلا بالغم والهم. فالذاهبون يذهبون شوقاً إلى مذاهبهم المختلفة وذاك الشخص المحروم الحظ يودعهم وينظرهم يركبون القطار وينظر القطار يدب على المحطة وهو واحد يقوم يتأسف على الرصيف قائلا:

"لا أشكوا الأصدقاء والزملاء ولا أشكو جفاء الزمان."

وقبل تسعة أعوام من اليوم تقريباً أنا كنت ودعت بعض أصحابي وزملائي الأحبة في نفس التاريخ لنوفمبر بهذا الطريق. وذلك اليوم يتكرر كل عام ولكن لم تسيطر على قلبي أوجاع تلك الذكريات كاليوم. فهل يتودعني حبيب آخر ويركب القطار والمركب؟ وما دمت جالساً أمام المدفئة وجرت على لساني تلك الأبيات الأردية التي فاضت على خاطري قبل تسعة أعوام في ذكرىٰ أولئك الراحلين، ومفهومها كما يلي:

"إذا قمت بتفسير الحب حصل لي من الحظ والشهود الكثير وإذا خلوت بنفسي ناديت وحدي ذاك النداء في منتصف الليل. وكل نظري يتمنى لسراب أرنوه بشوق، لماذا لايتذوق الندماء ما اشتاق إليه.

ورفقاء السفر يشتكون أني لا أرعى المصالح، أولئك الرفقاء الذين تأجج الزمان بصوتهم وكان جبينهم كالقمر في الليل البهيم ووجودي كله يتضمر حاصل الكون فهل أقرض معلقاتي بلسان الشعر. وبالأسف أن ندمائي لم يبق عندهم ذوق لمعرفة أصدائي فياأيها النديم أنا بقيت واحداً في مدينة الجنون وما زلت أبحث عن صاحب لي صبوحي ومازالت حقيقة قدحي مستترة."

[١٩٨٨م]

(للحديث صلة)

ميزان

جاويد أحمد غامدي
ترجمة من الأردية: د. محمد غطريف شهباز الندوي

ميزان

(الحلقة الرابعة)

كتابا متشابها

الخامس أن القرآن يبين ما يدعو إليه في صور وأساليب متنوعة، حتى إنه صار بنفسه تفصيلا لإجماله، وشرحا وتفسيرا لكلامه المعجز، بدرجة لا نظير لها في أي كتاب آخر. ولهذا وصف القرآن نفسه بأنه "كتابا متشابها"، كما قال تعالى:

اَللّٰهُ نَزَّلَ اَحۡسَنَ الۡحَدِيۡثِ كِتٰبًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِىَ. (الزمر ٣٩: ٢٣)

وقال أيضا:

وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِىۡ هٰذَا الۡقُرۡاٰنِ لِيَذَّكَّرُوۡا. (بني إسرائيل ١٧: ٤١)

وفي آيات كثيرة أخرى على هذا النمط، أشار القرآن إلى هذا المعنى باستخدام لفظ "التصريف"، أي بيان القول بأساليب وطرائق متعددة، كما قال:

كِتٰبٌ اُحۡكِمَتۡ اٰيٰتُهٗ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِنۡ لَّدُنۡ حَكِيۡمٍ خَبِيۡرٍ. (هود ١١: ١)

أي جاءت الآيات أولا مجملة، جامعة، محكمة، ثم فصلت بعد ذلك، وكأنها جمل مركزة.

ويقول الأستاذ الإمام أمين أحسن الإصلاحي في وصف هذا الأسلوب القرآني:

"إذا تلوت القرآن أحسست أن مضمونا واحدا يتكرر في سور مختلفة. وربما يخيل إلى المبتدئ أن ذلك تكرار لمضمون واحد فقط. ولكن المتدبر فيه يعلم أن القرآن منزه عن التكرار المجرد، فالقول الواحد لا يأتي في كل موضع بالخلفية نفسها، ولا بالمقدمة نفسها، بل تتغير أطرافه وروابطه وعلاقاته، ويقدم بصورة جديدة توضح ما خفي، وتفصل ما أجمل."

ويضيف: "تجربتي الطويلة أن لفظة تبدو مبهمة في آية، تفهم فهما بينا في آية أخرى. وما لا يظهر دليله هنا، يتلألأ كنور الشمس هناك. وهذا الأسلوب يرسخ كل مقولة في ذهن القارئ المتدبر."

ويقول الشاعر الأردي مير أنيس ما ترجمته:

"مضمون واحد لوردة، سأؤديه من مئة ألوان."

ورغم أنه قد يبدو مبالغة شعرية، فإن هذا واقع محسوس في القرآن، لمن أوتي ذوقا سليما.

ويضيف الأستاذ الإمام:

"إن طالب القرآن إذا تدبره دراسة دقيقة، وجد أن القاعدة: (القرآن يفسر بعضه بعضا) لا تنطبق فقط على تعليماته العامة، بل حتى على الألفاظ والأساليب. فإن كثيرا من العبارات التي تحير أهل اللغة والنحو، نجد لها نظائر وشواهد في مواضع أخرى من القرآن نفسه، تحل الإشكال وتقوي اليقين دون حاجة إلى الرجوع إلى كتب اللغة." (مبادئ القرآن، ص ٦٠)

كتاب أخير للدين

السادس أن القرآن ليس الكتاب الأول، بل الكتاب الأخير في سلسلة الوحي الذي جاء به هذا الدين. وتاريخ هذا الدين يعود إلى فجر البشرية، حين أودعت في فطرة الإنسان الأسس الأولية لهذا الدين. وأخبر الإنسان، أولا عن طريق أبي البشر آدم عليه السلام، بأن الله هو خالقه وربه ومولاه، وهو وحده المستحق للعبادة، وأن وجوده في هذه الدنيا للابتلاء والامتحان، وأنه مهيأ للإدراك والتمييز، وممنوح الإرادة والاختيار.

ووعد الله أن يرسل له هدايته كلما احتاج، فمن اهتدى نجا، ومن أعرض خسر، كما قال تعالى:

وَاَنْزَلْنَآ اِلَيْكَ الْكِتٰبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَآ اَنْزَلَ اللّٰهُ وَلَا تَتَّبِعْ اَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ الْحَقِّ... اِلَى اللّٰهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيْعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيْهِ تَخْتَلِفُوْنَ. (المائدة ٥: ٤٨)

وهكذا اكتمل الدين، وتلخصت دعوته في ثلاثة مصادر تأسيسية:

١ – فطرة الإنسان

٢ – رواية الدين الإبراهيمي

٣ – صحف الأنبياء

ويتعلق الأول بأسس الإيمان والأخلاق، وهو ما يعبر عنه القرآن بـ "المعروف" و"المنكر"، وهما مفهومان فطريان يدركهما الإنسان إدراكا جبليا.

وقد تبنى القرآن "ملة إبراهيم" أساسا عمليا للتشريعات، فالصلاة والزكاة والصوم والحج كلها من شعائر ملة إبراهيم، وكان العرب في عصر البعثة يعرفونها، بل يمارسونها إلى حد كبير. فعلى سبيل المثال:

١ – كان بعض الصحابة، كأبي ذر، يصلون قبل البعثة (رواه مسلم)

٢ – كانت صلاة الجمعة معروفة لديهم

٣ – كانوا يصلون صلاة الجنازة

٤ – وكانوا يصومون صوما مقاربا لما نصومه اليوم

٥ – وكانت الزكاة من الواجبات المتعارف عليها عندهم

٦ – وكانوا يؤدون الحج والعمرة على نحو قريب من الملة الإبراهيمية، رغم بدع أضافتها قريش، وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم حج قبل البعثة على الحنيفية الخالصة (رواه البخاري ومسلم)

(يُتبع)

آثار الصحابة

تفهيم الآثار

الدكتور محمد عمار خان ناصر

ترجمة من الأردية: د. محمد غطريف شهباز الندوي

إكرام أهل البيت الكرام وتبجيلهم

سيدنا عباس بن عبد المطلب رضي الله عنه

[آثار التابعين وأتباع التابعين]

(الحلقة الثامنة)

(٧)

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: فَلَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ بِمَرِّ الظَّهْرَانِ، قَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَقَدْ خَرَجَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمَدِينَةِ: وَاصَبَاحَ قُرَيْشٍ! وَاللهِ لَإِنْ بَغَتَهَا رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ فِي بِلَادِهَا فَدَخَلَ عَنْوَةً مَكَّةَ إِنَّهُ لَهَلَاكُ قُرَيْشٍ آخِرَ الدهر ... حَتَّى مَرَرْتُ بِنَارِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَنَظَرَ فَرَآهُ خَلْفِي، فَقَالَ عُمَرُ: أَبُو سُفْيَانَ! الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَمْكَنَ مِنْكَ بِغَيْرِ عَهْدٍ وَلَا عَقْدٍ، ثُمَّ اشْتَدَّ نَحْوَ رَسُولِ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ وَرَكَضَتِ الْبَغْلَةُ حَتَّى اقْتَحَمْتُ عَلَى بَابِ الْقُبَّةِ وَسَبَقْتُ عُمَرَ بِمَا تَسْبِقُ بِهِ الدَّابَّةُ الْبَطِيئَةُ الرَّجُلَ الْبَطِيءَ، وَدَخَلَ عُمَرُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا أَبُو سُفْيَانَ عَدُوُّ اللهِ قَدْ أَمْكَنَ اللهُ مِنْهُ بِغَيْرِ عَقْدٍ وَلَا عَهْدٍ، فَدَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي قَدْ أَمَّنْتُهُ، ثُمَّ جَلَسْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ فَأَخَذْتُ بِرَأْسِهِ وَقُلْتُ: وَاللهِ لَا يُنَاجِيهِ اللَّيْلَةَ أَحَدٌ دُونِي، فَلَمَّا أَكْثَرَ فِيهِ عُمَرُ، قُلْتُ:

مَهْلًا يَا عُمَرُ، فو اللهِ لَا تَصْنَعُ هَذَا إِلَّا لِأَنَّهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، وَلَوْ كَانَ مِنْ بَنِي عَدِيِّ بْنِ كَعْبٍ مَا قُلْتَ هَذَا، فَقَالَ عُمَرُ: مَهْلًا يَا عَبَّاسُ، فو اللهِ لَإِسْلَامُكَ يَوْمَ أَسْلَمْتَ كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلَامِ الْخَطَّابِ لَوْ أَسْلَمَ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنِّي قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ إِسْلَامَكَ كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ مِنْ إِسْلَامِ الْخَطَّابِ لَوْ أَسْلَمَ. (دلائل النبوة للبيهقي ٣٤/٥)

الشرح اللغوي

وَاصَبَاحَ قُرَيْشٍ: الترجمة الحرفية هي "يا صباح قريش". وهذا إشارة إلى الدمار والخراب. كان العرب يستخدمون هذا النداء لتحذير الناس عندما يهاجمهم جيش غازي عند الفجر.

بَغْتَهَا: من بغتةً' أي فأجأ أحداعلى غيروعي منه.

عَنْوَةً: إن كلمةعنا يعنو' تعني الاستسلام والخضوع لأحد. عندما يغزو جيش منطقة ما ويفتحها منطقة ما بقوة السيف، يطلق عليه اسم عنوةً،فيقال: 'دَخَلَ مكّةَ عَنْوَةً أَيْ قَهْرًا وغَلَبة. . . وَهُوَ مِنْ عَنَا يَعْنُو إِذَا ذَلَّ وخَضَع. والعَنْوَة: المَرَّة الواحِدة مِنه، كَأَنَّ الْمَأْخُوذَ بِهَا يَخْضَع ويَذِلّ.' (النهاية، ابن الاثير٣/٣١٥)

الشرح

١- وهذا جزء من حديث طويل عن رحلة فتح مكة، يروي فيه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما كيف أن سيدنا العباس صلى الله عليه وسلم لما رأى التبعات العسكرية لدخول الجيش الإسلامي مكة دون علم قريش، حاول إحلال السلام بين أهل مكة. ومن أجل ذلك اتصل بأبي سفيان وأقنعه بالقدوم إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقبول الإسلام وطلب الأمان لأهل مكة. ولم يكن سيدنا عمر رضي الله عنه يرى ذلك، ولم يكن يريد أن يقدم أي تنازل لزعماء قريش في هذه المناسبة بسبب كفرهم وبغضائهم. وفي هذا السياق جرى الحوار المذكور بين الرجلين عند النبي صلى الله عليه وسلم.

٢- ورداً على اتهام سيدنا عمرمن قبل العباس، أراد عمر أن يوضح أن سبب موقفه القاسي تجاه أبي سفيان لم يكن أي تعصب قبلي، بل كان لأبي سفيان دور سابق في العداء للإسلام. ولو كان الدافع هو العصبية القبلية لفضل إسلام أبيه الخطاب على إسلام سيدنا العباس، مع أنه كان أكثر سروراً بإسلام العباس من

فرحه بإسلام أبيه الخطاب، والسبب الوحيد في ذلك أنه علم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفضل إسلام عمه على إسلام الخطاب.

٣- والذي يجب أن يلاحظ أنه كان موقف سيدنا عمر تجاه أبي سفيان كان فقط قبل إسلامه. وبعد إسلامه، كان يكرمه ويحترمه باعتباره زعيماً عظيماً لقريش. فقد نقل أبو العباس المبرد:

"وكان عمر بن الخطاب يفرش فراشًا في بيته في وقت خلافته فلا يجلس عليه إلا العباس بن عبد المطلب وأبو سفيان بن حرب، ويقول: هذا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا شيخ قريش." (الكامل في اللغة والادب ٢٥٢/١)

التخريج واختلاف الطرق

وقد جاءت هذه الرواية لابن عباس في مصادر أخرى تالية:

السيرة النبوية، لابن هشام ٤٠٣/٢

شرح معاني الآثار، للطحاوي، رقم ٣٥٤٢

المعجم الكبير، للطبراني، رقم ٧٠٩٨

تاريخ الطبري ٥٣/٣

وقد وردت أحداث فتح مكة في كثير من الروايات، إلا أن هذا الحوار بين سيدنا العباس وسيدنا عمر لم يرد إلا في رواية ابن عباس رضي الله عنهما المذكورة. وفي رواية الطبراني وقع هناك بعض الالتباس في جمل الحوار، فنقل قول سيدنا عمر كما يلي:

"فوالله، لإسلامك يوم أسلمتَ كان أحبّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطاب لو أسلم، وما بي إلا أني قد عرفتُ أن إسلامك كان أحبّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطاب." (المعجم الكبير، رقم ٧٠٩٨)

وهذا بدهيًّا ناجم عن سوء فهم الراوي، والجمل الصحيحة هي تلك التي نُقلت في مصادر أخرى.

(٨)

عن صالح بن كيسان ... قال: وقال ابن شهاب: وكان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما في ولايتهما لا يلقى العباسَ منهما أحدٌ وهو راكب إلا نزل عن دابّته

وقادها، ومشى مع العباس حتى يبلّغه منزله أو مجلسه فيفارقَه.

(تاريخ دمشق، ابن عساكر ٣٧٤/٢٦)

وقد جاء هذا الأثر لابن شهاب نقلاً عن ابن عساكر والزبير بن بكار في مصادر ثانوية أخرى. أنظر:

المنتظم، لابن الجوزي ٣٨/٥

جامع الأحاديث، للسيوطي، رقم ٣٠٦٧٩

فيض القدير، للمناوي ٣٧٣/٤

كنز العمال، للمتقي الهندي ٥١٧/١٣

وقد روى ابن أبي الزناد هذا عن بعض آل سيدنا عثمان، وفيه ذُكر عمر وعثمان رضي الله عنهما بدلاً من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما:

"أن العباس لم يمرّ بعمر وعثمان وهما راكبان وهو راجل إلا نزلا حتى يجوزهما إجلالًا له، أو يمشيان معه حتى يبلغ منزله أو مجلسه."

(أنساب الأشراف، للبلاذري ١١/٤)

وقد أضاف ابن عبد البر في هذا الطريق بعد "إجلالًا له" الجملة التالية:

"ويقولان: عمّ النبي صلى الله عليه وسلم." (الاستيعاب ٨١٤/٢)

(٩)

عن أنس بن مالك، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللّهُمَّ إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعمّ نبينا فاسقِنا." قال: فيسقَون. (البخاري، رقم ٩٧٨)

الشرح

١- كان عام ١٨ هـ عام مجاعة في المدينة المنورة، ويُعرف بـ"عام الرمادة". وفي هذه المناسبة جمع سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه المسلمين للدعاء جماعةً للاستسقاء، ثم أخذ سيدنا العباس عمّ النبي صلى الله عليه وسلم، ووقف أمام الله سبحانه. وقد وردت هذه الحادثة في الأثر المذكور.

وقد وصف السائب بن يزيد مشهد هذه الصلاة بقوله:

"نظرتُ إلى عمر يوم خرج ليستسقي عام الرمادة، متواضعًا خاشعًا، عليه بُرد لا يبلغ ركبتيه، فرفع صوته بالاستسقاء، وعيناه تفيضان، والدموع تجري على خده

ولحيته، وإن العباس لعن يمينه، فاستقبل القبلة يعج إلى ربه، وأخذ بيد العباس فقال: اللّٰهُمَّ إنا نستشفع إليك بعم نبيك، والعباس قائم إلى جنبه، ملحّ في الدعاء، وعيناه تهملان." (أنساب الأشراف، للبلاذري ٤/٧-٨)

كما جاءت كلمات الدعاء في أثر ابن عباس رضي الله عنهما على النحو التالي:

"اللّٰهُمَّ إن هؤلاء عبادك وبنو إمائك، أتوك راغبين متوسلين إليك بعم نبيك، فاسقنا سُقيَا نافعة تعم البلاد وتحيي العباد. اللّٰهُمَّ إنا نستسقيك بعم نبيك، ونستشفع إليك بشيبته." (أنساب الأشراف، للبلاذري ٤/٧-٨)

٢- يوصي القرآن الكريم النبي صلى الله عليه وسلم بالدعاء والاستغفار للمؤمنين، لأن دعاءه يجلب لهم الرحمة والسكينة، واستغفاره سببٌ لنيل فضل الله ورضوانه (النساء ٤: ٦٤، التوبة ٩: ١٠٣). ومن أسباب ذلك المكانة العالية التي يتمتع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ربه، وما في قلبه الشريف من رحمة ورأفة بأمته، وهي الرحمة التي تنظر إليها العناية الإلهية بإجلال وتكريم.

وقد جاء في الحديث:

"كان النبي صلى الله عليه وسلم يحث أصحابه أن يُعلِموه إذا مات أحدٌ في المدينة ليصلي عليه بنفسه." (ابن ماجة، رقم ١٥٢٢)

وعلى هذا الأساس، كان الصحابة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم يطلبون دعاءه في حاجاتهم الخاصة والعامة.

٣- هذه العلاقة من الرحمة والشفقة نجدها أيضًا بين الوالد وولده، وإن اختلفت في الدرجة. فدعاء الوالد لولده يُستجاب، لما في قلبه من حب ورحمة وإحسان. وقد ورد في الحديث:

"ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة الوالد لولده..."

(أبو داود، رقم ١٣٤٨)

ومن هذا المنطلق، قدّم سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه سيدنا العباس رضي الله عنه للدعاء، وطلب منه أن يشارك الأمة في الاستسقاء، نظرًا لما له من مكانة عظيمة، من جهة كونه عم النبي صلى الله عليه وسلم، ومن جهة سنّه وجلالته بين الصحابة.

فكما أن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم مقبول عند الله، ودعاء الوالد في حق

أولاده له مزية خاصة، فإن شفاعة عمّ النبي صلى الله عليه وسلم تُعد من أسباب القبول في الأمة.

التخريج واختلاف الطرق

وقد نقل هذا الحدث برواية أنس في مصادر تالية:

صحيح ابن حبان، رقم ٢٩٢٣

المعجم الأوسط، للطبراني، رقم ٢٤٨٢

المعجم الكبير، للطبراني، رقم ٨٢

السنن الكبرى، للبيهقي، رقم ٦٠٥٠

الطبقات الكبرى، لابن سعد، رقم ٤٤٢٣

الآحاد والمثاني، لابن أبي عاصم، رقم ٣٢٨

وقد جمع البلاذري عن ذلك آثارًا مختلفة عن نافع، والسائب بن يزيد، وأسلم مولى عمر، وأبي صالح، وسيدنا ابن عباس. (أنساب الأشراف، للبلاذري ٤/ ٧–٨)

وقد جاء في رواية أبي صالح أن كعب الأحبار، العالم الكتابي الشهير، كان هو الذي أشار على عمر رضي الله عنه أن يتوسل بشخص من آل النبي صلى الله عليه وسلم، وقال له:

"إن بني إسرائيل كانوا إذا احتاجوا إلى دعاء الاستسقاء يتوسلون بأحد من آل نبي من الأنبياء."

عن القاسم، قال:

"كان مما أحدث عثمان، فرُضي به منه، أنه ضرب رجلًا في منازعة استخف فيها بالعباس بن عبد المطلب، فقيل له، فقال: نعم، أيفخّم رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه وأرخص في الاستخفاف به! لقد خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم من فعل ذلك ورضي به منه." (تاريخ الطبري ٤/٤٠٠)

الشرح

وقد وردت في خلافة سيدنا أبي بكر وسيدنا عمر حوادث متعددة من العقوبة على من أساء إلى أحد الصحابة الكرام. وكان سيدنا العباس، نظرًا لعلاقته برسول الله صلى الله عليه وسلم، يتمتع بمكانة عالية، يُعد عدم احترامها أو الاستخفاف بها سببًا يوجب التأديب.

غير أن أحدًا من الخلفاء قبله لم يتخذ موقفًا عمليًا تجاهه يوجب العقوبة. ولهذا فسّر القاسم بن محمد هذا الفعل من سيدنا عثمان رضي الله عنه بأنه مبادرة جديدة، لا بمعنى أنها تشريع مستحدث، وإنما كتفعيل لحقيقة مقررة.

التخريج واختلاف الطرق

وقد نُقل هذا الأثر عن القاسم بن محمد أيضًا في

تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٧٢/٢٦).

(مترجمة من الأردية) (للبحث صلة)

السيد منظور الحسن

ترجمة من الأردية: د. محمد غطريف شهباز الندوي

انشقاق القمر: موقف الأستاذ غامدي

(مقتبس من حواره مع محمد حسن الياس)
(الحلقة الرابعة)

في معظم المواضع في القرآن الكريم، استُخدمت لفظة "آية" للدلالة على تلك العلامات الإلهية التي تتجلّى في الأنفس والآفاق، والتي ترتبط بالأمور الاعتيادية لقدرة الله. وعلى الرغم من أنها غير عادية في حقيقتها، فإن ظهورها المستمر والدائم يجعلها تبدو كأحداث ومشاهدات معتادة. ولهذا السبب، فإنها غالبًا لا تثير في الناس مشاعر الدهشة أو التأمل. ومع ذلك، وبما أنها واضحة، جلية، معروفة، ولا يمكن إنكارها، فإن القرآن الكريم يلفت الانتباه إليها، ويدعو من خلالها الناس إلى الاعتراف بالحق.

وهذه الآيات الإلهية الظاهرة في كل مكان في الكون مذكورة مرارًا في القرآن. فعلى سبيل المثال: إنبات الحقول المزدهرة من الأرض الميتة، خلق الإنسان من طين، وجعل زوجه من جنسه، ثم إيجاد الألفة والتوافق بينهما؛ خلق السماوات والأرض وإيجاد التوازن بينهما؛ رفع السماوات بلا أعمدة؛ إخضاع الشمس والقمر لقانون دقيق؛ بسط الأرض وتثبيتها بالجبال؛ جعل اختلاف الألوان والأعراق واللغات وسيلة للتعارف بين الناس؛ خلق الليل للراحة والنهار للعمل؛ إثارة مشاعر الخوف والرجاء من خلال البرق السماوي؛ وإنزال المطر من السماء لإحياء الأرض الميتة — كلها أشكال مختلفة من هذه الآيات البينات. (ثم يمكنك

أن ترفق بها الآيات التالية من سورة الروم ١٩–٢٥ إذا رغبت) وفي الآية (٣٠)، من السورة نفسها.

ثم في الآية ١٩ إلى الآية ٢٥، ورد موضع يُستشهد فيه بعدد من هذه الآيات ويُستدل بها. وقد تكررت فيه عبارة "وَمِنْ آيَاتِهِ" مرارًا، للفت النظر إلى تلك العلامات العظيمة التي يتجاهلها الإنسان فقط لأنها أصبحت مشهده اليومي وتجربته المعتادة. وقد ورد في هذا الموضع قول الله تعالى:

يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذٰلِكَ تُخْرَجُوْنَ وَمِنْ اٰيٰتِهٖٓ اَنْ خَلَقَكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ اِذَآ اَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُوْنَ.

وقال الله عزو جل :

وَمِنْ اٰيٰتِهٖٓ اَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِّنْ اَنْفُسِكُمْ اَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوْٓا اِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَّوَدَّةً وَّرَحْمَةً ۗ اِنَّ فِيْ ذٰلِكَ لَاٰيٰتٍ لِّقَوْمٍ يَّتَفَكَّرُوْنَ.

وقال:

وَمِنْ اٰيٰتِهٖ خَلْقُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَاخْتِلَافُ اَلْسِنَتِكُمْ وَاَلْوَانِكُمْ ۗ اِنَّ فِيْ ذٰلِكَ لَاٰيٰتٍ لِّلْعٰلِمِيْنَ.

وقال أيضا:

وَمِنْ اٰيٰتِهٖ مَنَامُكُمْ بِالَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَآؤُكُمْ مِّنْ فَضْلِهٖ ۗ اِنَّ فِيْ ذٰلِكَ لَاٰيٰتٍ لِّقَوْمٍ يَّسْمَعُوْنَ.

وقال أيضا:

وَمِنْ اٰيٰتِهٖ يُرِيْكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَّطَمَعًا وَّيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَيُحْيٖ بِهِ الْاَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۗ اِنَّ فِيْ ذٰلِكَ لَاٰيٰتٍ لِّقَوْمٍ يَّعْقِلُوْنَ.

وقال:

وَمِنْ اٰيٰتِهٖٓ اَنْ تَقُوْمَ السَّمَآءُ وَالْاَرْضُ بِاَمْرِهٖ ۗ ثُمَّ اِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً ۖ مِّنَ الْاَرْضِ اِذَآ اَنْتُمْ تَخْرُجُوْنَ. (الروم٣٠: ١٩–٢٥)

في هذا المقام، يتم ذكر بعض العلامات، وهو ما سنتحدث عنه بشكل مختصر فيما يلي. من خلال هذا، سيكون من السهل فهم تطبيق مفهوم كلمة "آية" المشار إليه أعلاه.

خلق الإنسان ونشأته

الآية الأولى أو العلامة تتحدث عن خلق الإنسان وتكاثر نسله. يقول الله تعالى: "ومن آياته أن خلقكم من تراب، ثم إذا أنتم بشر تنتشرون". المعنى هنا هو أنه إذا تأمل الإنسان في خلقه، فسيكتشف بوضوح أن وجوده مكون من العناصر غير الحية الموجودة في التراب. لقد حول الله هذه الجسيمات الميتة إلى خلايا حية، ثم نفخ فيها الروح ليخلق منها الإنسان الواعي الحي. ولم يخلق الله الإنسان فحسب، بل جعل وجوده وسيلة لظهور مئات، وآلاف، وملايين البشر.

الأستاذ الإمام أمين أحسن الإصلاحي يوضح هذه العلامة قائلاً:

"أي أن الحقائق التي تُدعى لتصديقها هي كلها مبنية على قدرة وحكمة خالقكم، فكيف تطلبون دليلاً خارجياً على قدرة وحكمة الله؟ أكبر دليل على ذلك هو خلقكم أنتم أنفسكم. فقد خلقكم من التراب الجامد، ثم تحولتم إلى كائنات حية وعاقلة، وانتشرتم في جميع أنحاء الأرض... أي تأملوا، أين هو التراب الجاف وأين هو الإنسان الحي؟! لقد حولت قدرة الله من هذا التراب عالماً كاملاً مليئاً بالحياة!" (تدبر القرآن ٦/٨٥-٨٤)

تكوين الزوج للإنسان من جنسه

العلامة الثانية هي أن الله خلق الإنسان بشكل زوجي وجعل بين جزئيه محبة ومودة. لهذا، جاءت الآية "خَلَقَ لَكُمْ مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً". المعنى هنا هو أن الله تعالى لم يخلق الإنسان على نفس الشكل، بل خلقه في شكلين مختلفين من الرجال والنساء. هما متساويان في الروح والنفس، ولكن مختلفان في الأعضاء والأفعال والخصائص العملية. بالرغم من هذا الاختلاف الجنسي، فإن احتياجاتهما مترابطة، وقد وضع بينهما مشاعر من الأنس والمحبة والرحمة. ثم بفضل هذه العلاقة توسعت الأسرة والمجتمع.

ويكتب الأستاذ الكريم في هذا الصدد:

"أي أن الله لم يخلق جنسًا واحدًا للإنسان، بل خلقه في شكلين مختلفين وجعل لكلٍ منهما خصائص فردية متميزة، ولكن جعل بينهما مناسبة بحيث يحصل كل منهما على الراحة والطمأنينة من الآخر، وودع في قلوبهما شعورًا بالحب والرحمة بحيث يجذب كل منهما الآخر ويجعلهما يتعاونان معًا طوال

حياتهما، ليصبحا أحدهما خير الآخر، ومتآزرين في الآلام والأفراح."

(البيان ٤/٥٢)

وقد وضح الإمام أمين أحسن الإصلاحي هذه الآية كدلالة على أربع علامات مختلفة. وقال:

"العلامة الأولى هي أن الله تعالى قد خلق كل شيء في هذا الكون على شكل أزواج، وكل شيء يكمل غرض وجوده مع زوجته. من هنا يُستدل على أن لهذا العالم أيضًا زوجًا، وهو الآخرة، التي تكمل غاية هذا العالم. أما العلامة الثانية فهي أن خالقنا رحيم ومحب، فقد جعل الحاجة للزوج فينا ثم خلقه من نفس جنسنا، وأودع بيننا مشاعر الحب والمودة ليعيش كل منا مع الآخر في تناغم. العلامة الثالثة هي أن في الكون توجد توافقات عميقة بين الأضداد، وهذه التوافقات تشير بوضوح إلى أن خالق هذا الكون هو واحد، الذي يسير الكون بحكمته. العلامة الرابعة هي أن من يظن أن هذا الكون تطور تلقائيًا هو في خطأ، حيث أن هذه التوافقات المدهشة بين الأضداد لا يمكن أن تحدث بمحض الصدفة، بل هي دليل واضح على وجود كائن قادر حكيم يدير هذا النظام" (تدبر القرآن ٦/٨٥)

خلق الأرض والسماوات

تعتبر خلق السماوات والأرض واختلاف لغات البشر وألوانهم من علامات الله. للآية "خَلْقُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ" دلالة على أن خلق السماوات والأرض هو من علامات الله. ويتضح من ذلك أن الكون كخلق هو علامة عظيمة على معرفة الله، بحيث عندما ينظر الإنسان إلى وجوده المحدود يجد أنه يمثل مظاهر عظمة الله، وعندما يرفع رأسه ويرى اتساع السماء يكتشف أن الأرض وآفاق السماء أعلى من إدراكه.

ويكتب المولانا أمين أحسن الإصلاحي عن هذا المعنى:

"إذا نظر الناس بعناية، فسيرون أن في هذا الكون يوجد توازن عميق بين الوحدة والكثرة. من جهة، توجد السماء الواسعة التي لا حدود لها، ومن جهة أخرى، توجد الأرض. وبينما يبدو أن هناك مسافة كبيرة بينهما، إلا أن هذا التباعد لا يعني أن كل منهما له خالق مختلف، بل إن توافقهما العميق يدل على

أن هناك خالقًا واحدًا حكيمًا، يوجههما لأداء نفس الهدف."

(تدبر القرآن ٦/٨٦)

اختلاف لغات البشر وألوانهم

يعتبر اختلاف اللغات والألوان بين البشر أيضًا من علامات الله العظيمة. هذا الاختلاف لا يوفر فقط وسيلة للتعرف والتواصل، بل يصبح أيضًا مصدرًا لاختبارات وتجارب مختلفة. في "تفهيم القرآن"، يوضح المولانا أبو الأعلى المودودي هذا الاختلاف بين اللغات والألوان:

"بالرغم من أن قدرات النطق لديكم متشابهة، ولا يوجد فرق في تركيب الفم أو اللسان أو الدماغ، إلا أن لغاتكم تختلف في مناطق الأرض المختلفة. ثم في نفس المنطقة اللغوية، تختلف اللهجات والتلفظات من مدينة إلى أخرى، بل إن لون كل شخص يختلف بشكل كامل عن الآخر، حتى وإن كانا من نفس الوالدين. ومن هنا، فإن هذا التنوع الواسع في الخلق يُظهر لنا أن هذا الكون ليس مكانًا لتشغيل آلات ذات إنتاج ضخم، بل إن هناك صانعًا عظيمًا يعكف على خلق كل شيء بعناية فردية تصميم جديد في كل مرة."

(تفهيم القرآن ٣/٧٤٦-٧٤٧).

التقلب بين الليل والنهار

تم ذكر قدوم الليل والنهار في الآيات، حيث يقول الله تعالى: "وكذلك نومكم في الليل والنهار وطلبكم من فضله من آياته. إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون." إن تتابع الليل والنهار، وإن كان حدثًا عاديًا ظاهريًا، فإنه يكشف عن علم وحكمة الله العظيمة وحقيقة ربوبيته. الله يعلم أن المخلوق الذي خلقه يحتاج إلى الراحة العقلية والروحية والجسدية. وبدون ذلك، لن يستطيع العمل لفترة طويلة. كما أن استمرار الوضع البيئي ذاته يجعل الحياة بلا طعم. إن خلق الإنسان بهذا الشكل يتطلب أن تكون مكان إقامته مصممة بما يتناسب مع هذا التكوين. أي أن الخالق إذا كان عليمًا حكيمًا، فهو بالضرورة على علم كامل باحتياجات مخلوقاته وسيتولى إتمام تلك الاحتياجات بحكمة ورحمانية. إن هذه الاحتياجات وسبل تلبيتها هي دليل على أن الإنسان والكون لم يُخلقوا عن طريق الصدفة، بل تم خلقهم من قبل كائن عليم حكيم.

وفي تفسير هذه الآية، يقول الأستاذ غامدي:

"قال إن من يتأمل في هذه الحقيقة وحدها: كيف أن خالقهم قسم حاجة الجسد البشري للراحة والنوم إلى ليل ونهار وجعل سعيهم في الحياة متوازنًا بين الليل والنهار برحمة ورأفة، أليس ذلك دليلاً واضحًا على وجود رب رحيم كريم؟ بعد هذا، هل يستطيع الإنسان أن يقول إن كل هذا حدث صدفة؟ أو أن هناك أكثر من إله يمكنه التصرف في هذا الكون؟ أم أن خالقه سيتجاهل هذا الكون ويتركه يفنى؟ إذا تأملت، تجد أن في ذلك نوعًا من اللوم لأولئك الذين يسمعون ولكن لا يحاولون الفهم، بل يعارضون بعناد وكأنهم عميان وصمّ."

(البيان ٤/٥٤-٥٥)

المطلب هنا هو أن دوران الأيام علامة على أن الكون سيصل إلى نتيجة عظيمة، وليس هذا عبثاً على الإطلاق. وقد أوضح المولانا أمين أحسن إصلاحي:

"إن الاختلاف بين الليل والنهار يشير إلى ذلك التتابع الذي يحدث بينهما، حيث يتبع كل منهما الآخر بنشاط كامل، وهذا يدل على أن هذا الدوران ليس بلا هدف أو عبث، بل سيصل في النهاية إلى نتيجة عظيمة. ثانيًا، يشير هذا أيضًا إلى هذا النظام العظيم من الربوبية، الذي يتضمن اختلاف مزاج الليل والنهار، حيث يسخن النهار الأرض وينشط فيه الإنسان لأداء الأعمال الاقتصادية والمعيشية، بينما توفر الليل الراحة والسكينة له. وعند التأمل في هذا النظام، يتوصل المرء إلى أن التوافق المدهش بين الأضداد يحدث لتحقيق هدف مشترك، ولا يمكن حدوث ذلك إلا إذا كان كل هذا يعمل تحت إرادة قادِرٍ ومُدَبِّرٍ واحد. وبالتالي، يستنتج أن من أنشأ هذا النظام ورعاه بعناية، لن يترك الإنسان بلا حساب، بل سياتي يوم حتماً سيكافئ فيه من يعترف بهذا النظام ويعرفه، ويعاقب من يتجاهله ويلقيهم في جهنم. هذه هي النتيجة التي يخرج بها المرء عند التفكير في جميع أجزاء هذا الكون وضدوده، وهي التي توجه الإنسان نحو الآخرة وجزاءه وعقابه." (تدبر القرآن ٤/٢٦)

الرعد والبرق والمطر:

ظواهر السماء المختلفة هي أيضًا من علامات الله. البرق يلمع ويعلن عن قدوم المطر. هذا المطر قد يكون رحمة لبعض البلدان وعذابًا لبلدان أخرى.

وبالتالي، يصبح رمزًا في الوقت ذاته للأمل والخوف. لذا، هناك شيء واحد، إذا شاء الله، يمكن أن يكون نعمة أو عذابًا. ويقول الأستاذ غامدي:

"أي أن هذه الومضات البرقية تعلمنا أن النعمة والنقمة كلها بيد الله، وهو صاحب السلطة المطلقة على الجزاء والعقاب، ويمكنه أن يغير النعمة إلى نقمة والنقمة إلى نعمة." (البيان ٤/٥٥)

وهذا هو حال المطر، الذي قد يكون سببًا للرحمة والغفران أو سببًا للغضب والعذاب. ويرجع ذلك إلى مشيئة الله في تحديد وقت نزول المطر إما لري الأرض أو تدمير المحاصيل. في هذا السياق، يأتي قول الله: "فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا" (ثم يُحيي الأرض بعد موتها). يوضح المولانا أبو الأعلى المودودي في هذا الصدد:

"هذا الأمر يشير من جهة إلى الحياة بعد الموت، ومن جهة أخرى يشير إلى أن الله هو الذي يدبر الأرض والسماء، وأن حياة الكائنات على الأرض تعتمد على إنتاج الأرض، والذي يعتمد بدوره على قدرة الأرض على الإنتاج، وهذه القدرة تعتمد على المطر. كما أن المطر يتأثر بالشمس، والمواسم، وحرارة الجو وبرودته، وحركة الرياح، والكهرباء التي تؤدي إلى نزول المطر، مما يجعل من هذا النظام الطبيعي معجزة ربانية دالة على وجود خالق حكيم واحد."

(تفهيم القرآن ٣/٧٤٨-٧٤٩)

استقرار الأرض والسماء:

استقرار الأرض والسماء من آيات الله، فهما قائمين بأمره. وإذا شاء الله، سيحل فيهما الزوال. وعندما يأمر البشر بالخروج من الأرض، لن يكون لهم أي مجال للرفض، وسوف يجيبون لندائه. لا يمكن للسماء أن تمنع نداء الله من الوصول إلى البشر، ولن تكون الأرض عائقًا أمام خروجهم. يكتب الأستاذ غامدي في تفسير قوله: "تَقُوۡمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦ" (السماء والأرض تقومان بأمره):

"لا يحتاج هذا إلى أي برهان، لأنه إذا استطعت أن تسمع، فإن النجوم والكواكب والشمس والقمر، وكذلك الأرض، جميعها تبرز وتُخبر بأن وجودها قائم بقدرة الله، وأنها تدور وتتحرك بتوجيهه." (البيان ٤/٥٥)

(للحديث صلة)

إعداد: د. محمد عمار خان ناصر/ د. سيد مطيع الرحمن
ترجمة إلى العربية: د. محمد غطريف شهباز الندوي

دراسة لسنن ابن ماجة

[الاستفسارات المتعلقة بأحاديث سنن ابن ماجة وإجاباتها]

(الحلقة الرابعة)

مطيع سيد: بما أن الحديث عن الوضع قد بدأ، يُذكر سبب من الأسباب في الوضع وهو أنه كان يتم بدافع الإخلاص في النية.

عمار ناصر: الإخلاص في النية يدخل حيثما يُراد تحفيز الناس على عمل ديني أو منعهم عن ارتكاب معصية. هنا يعمل الإخلاص في النية، ولكن هناك أيضًا العديد من الاتجاهات السياسية والدينية والاجتماعية التي كانت سببًا في الوضع.

مطيع سيد: كيف يمكن للمسلم أن يتجرأ على اختراع شيء ونسبته إلى النبي، فقط من أجل أن يوجه الناس إلى عمل معين؟

عمار ناصر: في الواقع، المسلم الذي يضع حديثًا بنية صافية، لا يرى أن ما يفعله هو نسب شيء خاطئ إلى النبي صلى الله عليه وسلم. هو يرى أن الناس سيشجعون على القيام بذلك العمل، وهذا شيء جيد. ثم في مسوغات الوضع، هناك بعض الأحاديث التي تبرر وضع الأحاديث، مثل بعض الروايات التي تقول: "ما بلغكم من قولٍ حسنٍ عني، فاقبلوه، سواء قلتُه أو لم أقله."

مطيع سيد: قال صلى الله عليه وسلم مامفهومه إن شهادة البادية ومن يعيشون في الصحراء لا تقبل ضد أهل الحضر. هل يمكن أن يكون السبب في ذلك أنهم

لا يعرفون شؤون المدينة ولا يدرون بها جيدًا؟ وإلا فما الفرق بين أهل المدينة وأهل البادية؟[1]

عمار ناصر: من الواضح أن هذا لا يمكن أن يكون قاعدة عامة ولا يمكن أن يُقال عنها أمر مطلق. ربما قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا في سياق قضية معينة كانت فيها الأطراف واحدة من المدينة والأخرى من البادية، وكان الموضوع يتطلب أن يكون الشخص المطلوب شهادته على دراية جيدة بشؤون المدينة. إذا لم يكن على دراية بتلك الأمور، فإن شهادته لا تقبل. ولكن هذا ليس قاعدة عامة.

مطيع سيد: ورد في الحديث أن الهبة لا يجوز استرجاعها، وقد تم ضرب مثال قوي لذلك بأن استرجاعها كمن يتقيأ ثم يلعق ما قاء. ولكن هناك رواية تقول أن الأب يمكنه استرجاع الهبة التي أداها لأولاده.[2]

عمار ناصر: المنع من استرجاع الهبة هو من باب الأخلاق العالية وليس من باب القوانين. أي أنه شيء غير لائق أخلاقيًا، ولكن قانونًا، إذا قال المانح إنه يريد استرجاع ما أعطى، فله ذلك. وهناك روايات أخرى تقيّد هذا، وتقول إنه إذا قبل الشخص هدية أخرى مقابل ما أعطاه، فلا يجوز له استرجاعها. هذه قيد منطقي أيضًا. أما في حالة الأب، فلا يوجد مانع أخلاقي، لأن العلاقة بين الأب وأولاده مختلفة، ولأن الأب له حق خاص على مال أولاده. إذا كان يسترجع هديته الخاصة التي قدمها لهم، فلا ينطبق عليه ما يُقال عن الهدايا الأخرى.

مطيع سيد: في عصرنا الحالي إذا أعطى الأب ابنه شيئًا وتم توثيقه قانونيًا، فليس في رأيي أن هناك حقًا في استعادته.

عمار ناصر: هذا صحيح. من الناحية القياسية، يمكن إضافة شرط في الحديث أن حق الاسترجاع يبقى طالما أن القضية على مستوى العلاقات الشخصية. إذا تم توثيقها من قبل الحاكم، فلن يبقى هناك حق في الاسترجاع. أيضًا، يكون للعُرف الاجتماعي والتصورات المجتمعية أهمية كبيرة. إذا تغيرت طريقة النظر للأمور

---

[1] كتاب الاحكام، باب من لا تجوز شهادته، رقم ٢٣٦٧-

[2] كتاب الهبات،باب من اعطى ولده ثم رجع منه، رقم٢٣٧٧-

والتصورات المجتمعية، فإن الأحكام الفقهية أيضًا تتغير.

مطيع سيد: جاء في حديث مامفهومه أنه طلب شخص مهلة من مدينه لدفع الدين وهو الذهب. وجاء الاثنان إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "أنا ضامن له". أخذ الشخص المهلة وعاد بالذهب بعد أن انتهت المهلة. سأل النبي صلى الله عليه وسلم: "من أين جلبت هذا الذهب" فأجاب: "من المنجم". فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ليس فيه خير" وقام بسداد دينه بنفسه.[٣] فما هي المشكلة في أخذ الذهب من المنجم؟

عمار ناصر: لم يتم توضيح ذلك في الحديث، لذلك يمكن الاستفادة من القياسات. إذا كانت هناك روايات أخرى توضح كيف كان استخراج الذهب من المنجم في ذلك الوقت وما كانت هناك من تفاصيل، فقد نتمكن من فهم الأمر بشكل أفضل. يقول الشارحون أنه من الممكن أن يكون شراء الذهب في ذلك الوقت قد يكون تضمن شيئًا من الغرر. ربما أيضًا كان الذهب خامًا بينما كان يجب دفع الدينار. شعر النبي صلى الله عليه وسلم أن الدائن قد لا يوافق على سداد الدين بهذا الشكل، فدفعه بنفسه. على أي حال، لم تذكر الرواية ما كان في المبلغ، لكن السبب لم يكن أن الذهب المستخرج من المنجم كان غير مقبول في ذاته.

مطيع سيد: عندما كان يموت شخص في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، كان يسأل قبل أن يصلي عليه: "هل عليه دين؟" وعندما فُتحت بعض الأراضي، إذا لم يكن لدى المتوفى مال، كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلن عن سداد دينه بنفسه.[٤]

إذا كان الهدف من السؤال عن الدين هو التأكيد على أهميته، لكي يهتم الشخص الذي يقترض بإرجاعه، فإن الوضع تحسن بعد الفتوحات، ولكن العلة كانت لا تزال قائمة. في ذلك الوقت كان ينبغي أن يتعامل الناس مع الدين، ولكن لماذا أخذ النبي صلى الله عليه وسلم على عاتقه سداد الدين؟

عمار ناصر: كان الهدف من السؤال عن الدين هو تحفيز الناس على الاهتمام

---

[٣] كتاب الصدقات، باب الكفالة، رقم٢٤٠٦-

[٤] كتاب الصدقات، باب من ترك دينًا و ضياعًا فعلى الله وعلى رسوله، رقم٢٤١٥-

بسداد ديونهم، لكن الهدف الرئيسي كان ضمان ألا يبقى حق على المتوفى. كان أحيانًا يطلب من الصحابة أن يصلوا على جنازته بدلًا من أن يفعل هو، وبالتالي كان أحد الصحابة يتكفل بسداد الدين ويقول: "يا رسول الله، صل على جنازته وأنا سأدفع دينه". هذا كان وسيلة لتنظيم سداد الدين. وبعد الفتوحات عندما تم تنظيم الأمور، لم يعد من الضروري تحفيز الناس على ذلك. إذا لم يكن لدى أحد وسائل السداد بعد ذلك، كان الدين يُسدد من بيت المال.

مطيع سيد: عندما أخذ النبي صلى الله عليه وسلم على عاتقه سداد الدين، هل أدى ذلك إلى قلة الشعور بالمسؤولية لدى الناس؟ هل أصبح الناس غير مبالين ويظنون أن النبي صلى الله عليه وسلم سيسدد دينهم إذا لم يستطيعوا؟

عمار ناصر: في الحقيقة، نحن نعلم فقط ما وصل إلينا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، ولكننا لا نستطيع أن نقدر تمامًا تأثير ذلك أو ما كان يمكن أن يحدث. نظن أننا في بيئتنا الحالية نرى تأثيرًا مشابهًا، لكن الشخص الذي يتحدث يدرك تأثير كلماته على البيئة بشكل أفضل.

مطيع سيد: جاء في رواية مامفهومها أن سليمان بن أذنان أعطى علقمة ألف درهم كقرض. وقال له: "عندما أتلقى راتبًا من بيت المال، سأعيد المال". وعندما وصل راتب علقمة، طالب سليمان بشدة بسداد القرض، فدفع علقمة القرض، لكنه شعر بسوء من ذلك. ثم مرت عدة أشهر، وعندما احتاج مرة أخرى، ذهب إلى سليمان وطلب قرضًا قدره ألف درهم. فأحضر نفس الكيس وقال له: "هذا هو نفس الكيس الذي أعطيته لي. لم أكن بحاجة إليه ولم أستخدم منه درهمًا واحدًا". سأل علقمة: "لماذا كنت تطالبني بشدة؟" فأجاب سليمان: "لقد سمعت منك الحديث الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: 'من أقرض مسلمًا مرتين، له أجر صدقة مرة واحدة.' ولذلك قمت بذلك".[٥]

هل يبدو هذا غريبًا أن سليمان طلب استعادة القرض بشدة كي يقرضه مرة أخرى؟

عمار ناصر: بالطبع، المقصود من حديث النبي صلى الله عليه وسلم ليس

---

[٥] كتاب الصدقات، باب القرض، رقم٢٤٣٠-

هذا، لكن سليمان استخلص من ظاهر الحديث أنه إذا أعاد نفس المبلغ كقرض مرة أخرى، فسيحصل على أجر صدقة.

مطيع سيد: هناك حديث مشابه عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله مع المقترض حتى يسدد دينه". وكان عبد الله بن جعفر يقول للخازن: "اذهب واطلب لي قرضًا، لأنني لا أحب أن أمضي ليلة والله ليس معي".[٦]

يبدو أن مع النبي صلى الله عليه وسلم كان هناك أشخاص يفهمون الأمور بعمق، وآخرون كانوا يعملون فقط بالظاهر.

عمار ناصر: نعم، هذا صحيح. بالإضافة إلى الفهم، في مثل هذه الأمور، يوجد جانب من التوقع الخاص بالله تعالى، وهذا يختلف من شخص لآخر. في هذين الحدثين، يظهر كيف أن العمل بالظاهر من باب الأمل في الأجر والتوقعات الحسنة له جماله الخاص. توجد أيضًا روايات مشابهة عن السيدة ميمونة والسيدة عائشة. لم تكن تحتاجان إلى المال بشكل خاص لاحتياجاتهما، ولكن كانتا تُكثران من الصدقة والإنفاق وتستدانان مبالغ كبيرة لذلك. وعندما سُئلتا عن سبب استدانتهما رغم عدم وجود حاجة حقيقية، كانتا تجيبان: "سمعنا النبي صلى الله عليه وسلم يقول: 'من ينوِ قضاء دينه، فإن الله يساعده'. ولذلك نقوم بذلك طلبًا لمساعدة الله."

(للحديث صلة)

---

[٦] كتاب الصدقات، باب من ادّان دينا و هو ينوى قضاءه، رقم٢٤٠٩-

دكتور محمد غطريف شهباز الندوي

دراسة نقدية لتفسير «مفتاح القرآن الكريم» للعلامة شبير أحمد أزهر الميرتهي

(الحلقة الثانية)

استخدام الأحاديث الصحيحة:

يعتبر المفسر الميرتْهي استخدام الأحاديث الصحيحة والاستدلال بها أمرا لا غنى عنه. على سبيل المثال، في تفسير قوله تعالى: "سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة" (آل عمران: ١٨٠)، نقل حديثا رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته، مثل له شجاعا أقرع له زبيبتان، يطوقه يوم القيامة، يأخذ بلهزمتيه - يعني شدقيه - يقول: أنا مالك، أنا كنزك".

(أخرجه البخاري في صحيحه عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه عن صالح عن أبي هريرة، وأخرجه ابن حبان وأحمد والنسائي أيضا بطرق مرفوعة) [١٢].

أي من لم يدفع الزكاة في الدنيا، ففي يوم القيامة يُطوق بثعبان سام يلتف حول عنقه ويمسكه بفكيه، ويقول له: "أنا كنزك، أنا مالك".

ومع ذلك، فيما يتعلق بصحة الأحاديث وتضعيفها، فإنه يرى ضرورة التحقيق في كل حديث، ولا يكتفي في ذلك بالاعتماد على آراء السلف، وقد التزم بهذا المنهج التزاما كبيرا في جميع التفسير.

الإسرائيليات:

هذا التفسير فارغ تماما من الإسرائيليات. وحتى في الأقوال التفسيرية، لا

يقبل من أقوال الصحابة والتابعين إلا ما جاء مرفوعا متصلا، وما يناسب سياق الآية وسباقها، ويتوافق مع نظم القرآن وتناسقه. وإلا فإنه يرده ردا قاطعا، لأنه يعمل بمبدأ: "الحجة فيما يرويه الصحابي، لا فيما يرى".

كما يشير إلى الروايات الموضوعة والضعيفة المنتشرة في كتب التفسير، ويبين مصادرها ويرفضها بحجج قوية.

مثالا على ذلك، في تفسير قصة آدم في سورة البقرة، عند قوله تعالى:

"يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة" (البقرة: ٣٥)،

يقول: "ينبغي أن يُفهم من الآية أن حواء خُلقت قبل دخول آدم إلى الجنة، فالروايات التي تقول إن آدم لم يكن يأنس وحده في الجنة، ولذلك خُلقت حواء لتؤنسه، روايات باطلة، من الإسرائيليات، ولا يوجد فيها حديث صحيح" [١٣].

الاستفادة من المفسرين القدامى والمعاصرين:

كان المفسر الجليل يعتمد على كبار المفسرين القدامى، مثل: الرازي، الطبري، ابن كثير، الزمخشري، أبو حيان الأندلسي، وأبو مسلم الأصفهاني، دون أن يتعصب لمذهب أو مشرب معين.

ورغم أن الزمخشري وأبا مسلم الأصفهاني من المعتزلة، فقد استفاد من ذوقهما في فهم القرآن.

أما المفسرون المتأخرون، فقد كان في الغالب ينتقدهم، وخصوصا مؤلفي تفسيري "المدارك" و"الخازن".

وفيما يخص الترجمات الأردية، فلم تكن له آراء إيجابية بشكل عام، فقد قال عن ترجمة وتفسير مولانا أشرف علي التهانوي:

> "لا أدري لماذا أُعجب مولانا التهانوي بتفسير روح المعاني، الذي هو كتاب مليء بالحشو واللغو، ومع ذلك فإن تفسيره (بيان القرآن) يُعد من أحب التفاسير الأردية وأكثرها قبولا بشكل عام."

كما أثنى على جهود مولانا عبد الماجد الدريابادي في مجال تفسير القرآن.

ورغم اختلافه مع العلامة حميد الدين الفراهي في كثير من الأمور – كاعتراضه على تفسيره لسورة الفيل، وتأييده لتفسير السلف – فقد كتب عنه كلمات رفيعة، قال فيها:

"المولانا حميد الدين الفراهي كان عالما ذا فكر وبصيرة... وكان موضوع فكره ونظره القرآن الكريم، وقد نفخ هذه الروح المباركة في المدرسة العربية الشهيرة 'مدرسة الإصلاح' في سرائي مير (أعظم كره)."

نقده لتفاسير أردية أخرى

وفي التفاسير الأردية، وجّه العلامة الميرتهي انتقادات عدة لتفاسير أمثال السرسيد، وتشودري غلام أحمد برويز، كما انتقد في مواضع متعددة "تفهيم القرآن"للأستاذ المودودي. رغم إقراره بعظمة مولانا المودودي الكتابية وفهمه العصري، فإنه لم يكن مقتنعًا به كثيرًا في مجال علوم الإسلام، وخاصة في ميداني التفسير والحديث.

الترابط بين الآيات والسور:

تحدّث المفسر الجليل بإسهاب عن الترابط بين السور والآيات. فعلى سبيل المثال، كتب عن العلاقة بين سورة النور وسورة المؤمنين ما يلي:

"في بداية سورة المؤمنين، ذُكر أن من صفات المؤمنين العفة والطهارة، وهي من الصفات الست التي تقود إلى الفوز والفلاح. وفي سورة النور، جاءت تأكيدات متعددة على العفة والطهارة، مع بيان وسائل الحفاظ عليها، سلبًا وإيجابًا. وبذلك يمكن القول إن معظم سورة النور هي بمثابة شرح وتفسير لآية {والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين} (المؤمنون: ٦)".

نزول السور منظم ومرتب:

يرى صاحب "مفتاح القرآن الكريم" أن كل آيات لسورة نزلت بالترتيب الذي هي عليه الآن في المصحف. قد يحدث أن تسبق سورة أخرى في النزول وتُدرج بعدُ في المصحف، لكن لم يحدث أن وقع تقديم أو تأخير بين آيات نفس السورة. ولم تنزل أي آية أو سورة أكثر من مرة. فيقول:

"القول الصحيح أن آيات سورة آل عمران نزلت بنفس الترتيب الذي هي عليه في المصحف، كما هو الحال مع بقية السور. نعم، ترتيب السور ليس زمنيًا؛ فالسور الأربع الأولى: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة مدنية، تليها سور مكية كـالأنعام والأعراف. لكن ترتيب الآيات في كل سورة هو زمني.

الاعتقاد بأن هناك اختلالًا في الترتيب الزمني للآيات هو وهم وخطأ، وأصل هذا الرأي يعود للرافضة الذين أرادوا الطعن في الصحابة. وقد روّج الرواة غير الدقيقين – أو الرافضة أنفسهم تحت غطاء التقية – لهذا الرأي في أوساط أهل السنة."

وقد كرر هذا الرأي في مواضع متعددة. فعندما انتقد الرأي للمولانا المودودي لنزول سورة آل عمران، قال:

"السؤال هو: متى علّم النبي ﷺ هذه السورة للمسلمين؟ هل بعد اكتمال نزولها في السنة التاسعة للهجرة، كما يفترض المولانا المودودي؟ أم أنه كان يُعلّمها للصحابة آيةً آيةً فور نزولها، ويأمر كتاب الوحي بتدوينها؟ من المؤكد أن النبي ﷺ كان يُقرئ الصحابة الآيات حال نزولها ويأمر بتدوينها فورًا، وليس بعد سنوات. وقبول رأي المودودي يعني أن الصحابة قرؤوا السورة سنوات وهم يضعون آيات من منتصفها قبل آيات في أوائلها، وهذا محال. لذا، فإن الرأي الذي يؤدي إلى هذا المحال هو في ذاته رأي باطل".

الحروف المقطعات:

الرأي السائد بين المفسرين أن معاني الحروف المقطعة لا يعلمها إلا الله، ولا حاجة لمحاولة تأويلها. ومع ذلك، فقد حاول بعض المفسرين تفسيرها، مثل المولانا ثناء الله الأمرتسري، وينتمي العلامة الميرتهي أيضا إلى هذه المدرسة، فقد فسّر معاني كل حرف مقطع، وجمعها في مطلع سورة البقرة، واستمر في مناقشتها على مدى سبع صفحات. كتب في بدايتها:

"الم. هذا عنوان السورة الكريمة، وكذلك هو عنوان للسور التالية: آل عمران، والعنكبوت، والروم، ولقمان، والسجدة. وهناك ٢٩ سورة في القرآن تبدأ بالحروف المقطعة، اثنتان منها – البقرة وآل عمران – مدنيتان، والبقية مكية. تسمى هذه العناوين بالحروف المقطعة لأنها تُلفظ مفصولة كما في الحروف الأبجدية. وقراءة النبي ﷺ لها على هذا النحو ثابتة. وهذه الحروف تشير إلى مضامين السور نفسها."

ثم ضرب مثالًا بسورة "ص"، فقال:

"في بداية السورة، نُقل قول الكافرين: {امشوا واصبروا على آلهتكم} (ص:

٦)، حيث دعوا إلى الثبات على الباطل ورفض دعوة التوحيد. ثم جاء الرد الإلهي للنبي ﷺ: {اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داوود ذا الأيد} (ص: ١٧). ثم عُرضت نماذج من صبر الأنبياء، وفي ختام الركوع الرابع تم التفريق بين مصير الصابرين على الحق والثابتين على الباطل. وفي الركوع الخامس ذُكر إبليس كمثال لقائد الباطل. وعليه، فإن الصبر هو الموضوع المحوري في السورة، والحرف "ص" رمز لهذا المعنى".

وفي ختام بحث الحروف المقطعة، كتب:

"ينبغي أن نفهم جيدًا أن استخدام الحروف المقطعات كعناوين للسور من خصائص القرآن الفريدة ومعجزاته اللغوية. فلا نظير يوجد لهذا الأسلوب في الكلام العربي قبل نزول القرآن، ولا دليل على أنه كان معروفًا أو مستخدمًاقبل نزوله، مما ينفي أن يكون أسلوبًا مهجورًا. كما أن جميع الأساليب اللغوية الفصيحة التي كانت معروفة وقت نزول القرآن لا تزال حية بفضل القرآن الكريم، وستبقى كذلك ما دام القرآن موجودًا".

الدقائق اللغوية:

كان المفسر رحمه الله يمتلك خبرة واسعة في اللغة العربية وأدبها، وفي علم النحو والصرف والبلاغة، مما مكنه من إدراك أدق المعاني والنكات اللغوية بسهولة. ولأنه كان يتأمل القرآن باستمرار، فقد كانت تتجلى له معانٍ وتحقيقات جديدة باستمرار، كما قال الشاعر إقبال مامفهومه:

"إذا لم ينزل الكتاب على ضميرك، فلن يحل عقدك لا الرازي ولا الزمخشري".

على سبيل المثال، ورد في الآية الكريمة:

حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ. (هود: ٤٠)

فقد تُرجِمَتْ في مفتاح القرآن على النحو التالي:

"حتى إذا جاء أمرنا وفاض التنور (نبع الماء من التنور)، لقلنا أي في المستقبل: احمل في السفينة من كل نوع زوجين اثنين، وأهلك – إلا من سبق عليه القول (أي: قُضي عليه بالهلاك) – ومن آمن. ولم يؤمن معه إلا قليل من قومه."

ثم كتب تحت عنوان "تنبيهات":

من خلال هذا التفسير والترجمة، يمكن للقارئ أن يدرك أن هذه الآية مرتبطة بالآية:

"واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون" (هود: ٣٧)

وقد وقع المفسرون والمترجمون الآخرون في خطأ عند ترجمة الآية:

"حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور" (هود: ٤٠) حيث ترجموا الآية:

"حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور (نبع الماء)، قلنا. أي في الماضي

في حين أن وجود كلمة "إذا" يمنع صحة هذا التفسير. فلو كانت الكلمة "لمّا" أو "إذ" لكان هذا التفسير صحيحاً، لأن "إذا" تفيد الاستقبال، وقد تأتي بصيغة الماضي ولكن بمعنى المضارع.

ولو أن هؤلاء المترجمين أخذوا في الاعتبار آية سورة المؤمنين:

فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا، فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ، فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ، وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا، إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ. (المؤمنون: ٢٧)

لكانوا تجنبوا هذا الخطأ في الترجمة

اللوح المحفوظ:لقد ذهب جمهور المفسرين إلى أن "اللوح المحفوظ" هو كتاب عظيم قد كُتبت فيه كلّ تفاصيل هذا العالم دون نقصان، وذلك منذ ما قبل خلق الكون. فكل أفعال العباد، حسنة كانت أو سيئة، وكل ما سيواجهونه من أحوال، مسجلة فيه سلفاً. وجميع الكتب السماوية التي أُنزِلت على الأنبياء، بما في ذلك القرآن الكريم، كانت مكتوبة فيه من قبل. ويُقال إن هذا اللوح مصنوع من الزمرد، وطوله يعادل مسيرة خمسمائة عام، وعرضه مسيرة مائة عام. ولكن الحقيقة أن هذا الوصف المزعوم للّوح المحفوظ لا وجود له في القرآن الكريم، ولا ورد في أي حديث صحيح. [٢٥]

المراجع والحواشي:

١٣- العلامة الميرتهي رحمه الله، تفسير مفتاح القرآن، المجلد الأول، الطبعة الثانية، مؤسسة الدراسات الإسلامية، نيودلهي، ص ١١٤، مارس ٢٠٢٣م.

وكذلك الدكتور سيد شاهد علي، دراسة في التفاسير الأُردية في القرن العشرين، كتابي دنيا، دلهي، ٢٠٠١م، ص ١١٠.

١٤- العلامة الميرتهي رحمه الله، عبّر عن آرائه حول المترجمين والمفسرين الأُرديين في مقال مختصر غير منشور بعنوان "التفاسير القرآنية المكتوبة بالأُردية"، وهذا المقال محفوظ عند الكاتب بصيغته الأصلية.

١٥- كتب العلامة الميرتهي رحمه الله: "قام مولانا عبد الماجد دريابادي بخدمة القرآن الكريم رغم عدم معرفته باللغة العربية، وقد نقل في ترجمته وتفسيره آراء أولئك العلماء الذين كان يثق بعلمهم وتقواهم".

١٦- المرجع السابق.

١٧- المرجع السابق.

١٨- من بين التفاسير المعاصرة، كانت أكثر انتقادات المؤلف موجهة إلى تفهيم القرآن.

١٩- العلامة الميرتهي رحمه الله، مفتاح القرآن، تفسير سورة النور، ص ٢، المجلد الرابع، مؤسسة الدراسات الإسلامية، نيودلهي، ٢٠٢٤م.

مفتاح القرآن، آل عمران، ص ٥٨٣، المجلد الأول، مارس ٢٠٢٣م.

٢٠- العلامة الميرتهي رحمه الله، مفتاح القرآن، آل عمران، ص ٥٨٣، المجلد الأول، مارس ٢٠٢٣م.

٢١- نفس المصدر، ص ٥٨١.

٢٢- كتب المولانا أمرتْسري: "لقد وقع اختلاف كبير في تفسير هذه الحروف... وأرى أن التفسير الأرجح هو ما نُقل عن ابن عباس رضي الله عنه، أن كل حرف منها يمثل اسماً أو صفة من صفات الله. ولذلك قمت بهذا الترجمة التي ترونها، وهي منقولة عن ابن عباس رضي الله عنه".

مثال على ترجمة بعض الحروف المقطعة:

ألـم: "أنا الله، الأعلم بكل شيء".

ألـرا: "أنا الله، أرى وأسمع كل شيء".

تفسير ثنائي، ثناء الله أمرتْسري، أكاديمية أمرتسري، دلهي، ١٩٧٩م، ص ٤٦ و٣.

٢٣- العلامة الميرثْهي رحمه الله، انظر: مفتاح القرآن، المجلد الأول، ص ٣٨.

٢٤- العلامة الميرثْهي رحمه الله، تفسير مفتاح القرآن، سورة هود، المجلد الثالث، ص ١١٥، مارس ٢٠٢٤م.

٢٥- العلامة الميرثْهي رحمه الله، تفسير مفتاح القرآن، المجلد الثاني، ص ٣٨٢.

(للبحث صلة)

وجهة النظر

بقلم: الأستاذ محمد حسن إلياس

ترجمة من الأردية: الأستاذ عثمان فاروق

هل "الحور" مخلوق مستقل؟

[هذا العمود المعنون بـ "وجهة النظر" مخصص لكتابات مختلف أصحاب الفكر وتعبر عن آراء أصحابها وليس من الضروري أن تتفق المؤسسة مع المقالات المنشورة تحته]

١- معنى "الحور" في اللغة العربية

حين يصف القرآن الكريم نساء الجنة، يورد من بين صفاتهن البارزة أنهن "حور". وهذا اللفظ العربي العريق يستخدم للإشارة إلى النساء ذوات العيون الواسعة، حيث يجتمع في عيونهن بياض ناصع وسواد فاحم، في توليفة ساحرة تضفي عليهن جمالًا آسرًا. كما أن "الحور" تُطلق أيضًا على النساء ذوات البشرة النقية واللون الفاتح.

يقول الجوهري في الصحاح:

"الحور: شدة بياض العين في سوادها مع شدة سوادها." (٣/ ٢٠٢)

أي أن الحوراء هي المرأة التي تتسم ببياض لافت في العين يقابله سواد عميق، وهو من أبرز علامات الجمال في الذوق العربي القديم.

٢- "الحور" في القرآن: وصف لا اسم لمخلوق

بهذا يتضح أن مصطلح "الحور" في اللغة والثقافة العربية ليس اسمًا لكائن غريب أو مخلوق خارق، بل هو وصف جمالي لنساء يتمتعن بقدر عالٍ من الحسن والرقة والبهاء. ولذلك حين استخدمه القرآن الكريم، لم يكن يصف مخلوقات غيبية خُلقت خصيصًا للجنة، بل كان يشير إلى نساء صالحات، عفيفات، مطهرات، عشن في الدنيا حياة قائمة على الإيمان والعمل الصالح، فاستحققن جزاءهن في الآخرة.

٣- نعيم الجنة ثمرة الإيمان وليس الشهوة

فالقرآن لا يربط نعيم الجنة برغبات عابرة أو بمخلوقات منفصلة عن التجربة الإنسانية، بل يؤكد أن رفقة الجنة هي ثمرة الإيمان والخلق والعمل. قال تعالى:

"الطَّيِّبٰتُ لِلطَّيِّبِيْنَ وَالطَّيِّبُوْنَ لِلطَّيِّبٰتِ."(النور: ٢٦)

ويقول في سورة يس:

"هُمْ وَاَزْوَاجُهُمْ فِيْ ظِلٰلٍ عَلَى الْاَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔوْنَ."(يس: ٥٦)

وفي سورة الرعد يوضح المعنى ذاته بقوله:

"جَنّٰتُ عَدْنٍ يَّدْخُلُوْنَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ اٰبَآئِهِمْ وَاَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيّٰتِهِمْ."

(الرعد: ٢٣)

إن هذه الآيات المباركة كلها تتضافر لتؤكد حقيقة جلية: أن النعيم في الجنة، بما فيه من الصحبة والوصال، هو جزاء الإيمان والصلاح، وليس ثمرة مجرد شهوة، ولا علاقة له بمخلوقات غريبة لا صلة لها بحياة الإنسان في الدنيا.

٤- نظام الجنة قائم على التوافق الروحي

نظّم الله تعالى نظام الجنة على نحوٍ دقيق وحكيم، بحيث يمنح كل فرد فيها شريكًا يتوافق مع مقامه الروحي، وميوله الباطنية، وتجانسه الأخلاقي. فرفقة الجنة ليست مجرد علاقة جسدية، بل تقوم على صفات روحية وتوافق داخلي يشكلان المصدر الحقيقي للسكينة الأبدية والاطمئنان الخالد.

٥- هل "لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان" تعني أنهن مخلوقات جديدة؟

استند بعض الناس إلى قوله تعالى في سورة الرحمن: "لم يطمثهن إنس قبلهم

ولا جان" (الرحمن: ٥٦) ليظنوا أن "الحور" مخلوقات جديدة مستقلة.

وعلى الرغم من وضوح نص القرآن، فقد أُقيم هذا التصور استنادًا إلى روايات ضعيفة، وحكايات موضوعة، وتفاسير وعظية، حيث ظنوا أن عدم مسّ أي إنس أو جان لهن يعني أنهن مخلوقات جديدة تمامًا، خارجة عن نطاق التجربة الإنسانية.

وقد أدى هذا إلى نشوء تصور يتنافى مع سياق القرآن وروحه العامة، إلا أن من إعجاز القرآن أنه يفسر إشاراته وتمثيلاته من داخله، ويزيل كل لبس محتمل من خلال آيات أخرى، فلا يحتاج إلى تفسير خارجي أو تأويل متكلف. قال الله تعالى:

"لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ." (فصلت: ٤٢)

٦- الخلق الجديد في سورة الواقعة يوضح المقصود

وعندما نقرأ آية الرحمن المذكورة في ضوء آيات سورة الواقعة، يتضح المقصود بشكل جلي وتزول الإشكالات التقليدية:

"اِنَّآ اَنْشَاْنٰهُنَّ اِنْشَآءً فَجَعَلْنٰهُنَّ اَبْكَارًا عُرُبًا اَتْرَابًا." (الواقعة: ٣٥-٣٧)

ففي هذه الآيات، التي تصف "أصحاب اليمين" في الجنة، يشير السياق إلى أزواجهم، أي النساء الصالحات المؤمنات اللاتي كنّ زوجات لهم في الدنيا، حيث يُعدن خلقهن في الجنة بنقاءٍ وجمالٍ وصفاءٍ جديد. ويتضح هذا من خلال الأمور التالية:

١- ضمير "أنشأناهن" يعود إلى نساء معروفات سابقًا، أي زوجات أصحاب اليمين في الدنيا، وليس إلى مخلوقات جديدة.

٢- لفظ "إنشاءً" يدل على خلق جديد لنفس الكيانات البشرية، ولكن في هيئة أخرى أكثر طهارة وكمالًا.

٣- كلمة "أبكارًا" تعني "عذارى"، وهذا يفهم منه أنهن كنّ متزوجات في الدنيا، ثم أعيد خلقهن بطهارة جديدة، وهذا لا يُقال عن مخلوقات مبتدَعة.

٤- "عربًا أترابًا" تشير إلى جمال داخلي وتوافق وجداني وروحي، لا مجرد علاقة جسدية.

وعليه، فإن آية "لم يطمثهن" لا تعني أنهن مخلوقات خارقة، بل تدل على طهارتهن التامة بعد الخلق الجديد في الجنة.

٧- تصوّر القرآن عن الحور: وصف لا أسطورة

هكذا يقدم القرآن تصورًا واضحًا عن "الحور"، يخالف الروايات الأسطورية والتفسيرات الغيبية المتداولة. كما ينبغي أن نأخذ بعين الاعتبار أن وصف الجنة ونعيمها في القرآن جاء غالبًا على هيئة تمثيل وتشبيه لتقريب المعنى للعقل البشري، لا لتحديد كُنه الأشياء.

قال تعالى: "وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ اَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُوْنَ" (فصّلت: ٣١)

وفي سورة الزخرف: "وَفِيْهَا مَا تَشْتَهِيْهِ الْاَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْاَعْيُنُۚ وَاَنْتُمْ فِيْهَا خٰلِدُوْنَ" (الزخرف: ٧١)

٨- الحور: توافق بين الجمال والطهارة والروح

توضح هذه الآيات أن نعم الجنة تتوافق مع رغبات الإنسان الفطرية وتكوينه الداخلي، فإذا كان لدى أحدهم تصور معين عن "الحور"، فإن في الجنة متسعًا لتحقيق ذلك بما يتلاءم مع طبيعته.

لكن المؤكد أن "الحور" ليست مخلوقات مستقلة أو خارقة للطبيعة، بل وصف لنعمة تشبيهية وجمالية تتجلى في هيئة من توافق بين الطهارة والجمال والصفاء الروحي، تعبيرًا عن إشباع تطلعات الإنسان الصادق في عالم الخلود. تبنى عليه السعادة الأبدية في الآخرة.

وفي الختام إن التركيز القرآني لا ينصب على طبيعة "الحور"، بل على حقيقة أن نعم الجنة تتوافق تمامًا مع فطرة الإنسان ومزاجه وتوازنه الروحي، وهذا هو المعيار الذي تبنى عليه السعادة الأبدية في الآخرة.

بقلم: ثاقب علي
ترجمة إلى العربية: الأستاذ عثمان فاروق

القرآن الكريم والتصوّر السائد لدى المسلمين عن الدين

في حياة المسلمين، ترسخت بعض المفاهيم والعادات التقليدية في المجتمع إلى حد أصبح ينظر إليها كجزء من الدين، رغم أن أصلها لا يعود إلى تعاليم الإسلام. هذا يؤدي إلى شعور زائف بالاطمئنان، مما يجعلنا نغفل عن مسؤولياتنا الدينية الحقيقية. في هذا المقال، سنتناول بعض هذه الممارسات والمفاهيم التي أضعفت فهمنا الصحيح للدين، وسنختتم بتقديم التصور الصحيح للدين كما يقدمه القرآن الكريم.

١- قراءة القرآن و إهداء ثواب الأعمال للميت

من الممارسات الشائعة في مجتمعنا إقامة جلسات لقراءة القرآن الكريم نيابة عن الميت، حيث يقرأ القرآن الكريم في مناسبات معينة بنية إهداء الثواب إلى الميت، على أمل أن يكون ذلك سببًا في مغفرته في الآخرة. تعقد هذه الجلسات بناءً على اعتقاد أن هذه الأعمال قد تسهم في تحسين حال الميت في الحياة الآخرة، على اعتبار أنه ربما غفل عن ذكر الله أثناء حياته أو لم يكن ملتزمًا بكامل واجباته الدينية.

٢- الطقوس والاحتفالات الخاصة

في مجتمعنا، تنتشر بعض العادات مثل "التيجة"، "الاربعين"، "ختم الخميس"، و"الختم السنوي"، حيث يعد الطعام ويقام الاحتفال بنية إهداء الثواب للميت.

كما تنظم محافل عيد ميلاد النبي، وكوندات في ٢٢ من رجب، والحادية عشرة الشريفة (في اليوم الحادي عشر من كل شهر، يقوم بعض الأشخاص بإعداد الطعام وتقديمه بإسم الشيخ عبد القادر الجيلاني عليه الرحمة كـ إهداء للثواب) بحماس كبير. من خلال هذه الأعمال، يعتقد الناس أنهم يخدمون الدين أو أنهم قد أدوا حقه.

٣- الاعتقاد بأن بعض الأعمال الصالحة تكفر عن بعض الذنوب

يظن كثير من المسلمين أنهم قادرون على التخفيف من أخطائهم بالاعتماد على أعمال معينة، مثل أداء الحج أو القيام بصلاة معينة في ليلة السابع والعشرين من رمضان، وأن ذلك سيغفر لهم جميع الذنوب. ولا يدركون أن حقوق الآخرين لا تغفر إلا بواسطة أصحابها، وأن بعض الذنوب قد تفقد الشخص جميع أعماله الصالحة.

٤- تصور التفوق الديني

مثلما كان لدى اليهود والنصارى تصور التفوق، فإن بعض المسلمين أيضًا يحملون نفس التصور. يعتقد البعض أن انتماءهم إلى أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) يضمن لهم المغفرة، ويطمئنون بالاعتقاد بأنهم من أفضل الأمم حتى لو ارتكبوا أخطاء. يعزز هذا التصور بعض الشعارات مثل "خاتم النبيين، محمد عليه الصلاة والسلام!" و "عاشت نبوّة الخاتم، محمد عليه الصلاة والسلام!"، مما يساعدهم على الشعور بالاطمئنان. ويظهر هذا الموقف أيضًا في الجدل حول من هو الأحق أو الأفضل بين الصحابة.

٥- تصور الشفاعة

يعتقد العديد من المسلمين أن النبي صلى الله عليه وسلم سيتشفع لهم أمام الله في يوم القيامة، مما سيؤدي إلى مغفرتهم. كما أن التقديس للأولياء وزيارة مقابرهم يعزز هذا التصور. ويفضل بعض الناس إرضاء الأولياء على إرضاء الله سبحانه وتعالى.

٦- حقوق الله وحقوق العباد

غالبًا ما يجهل الناس أن أداء حقوق الله وحقوق الناس يعد أمرًا ضروريًا في الدين. في الحقيقة، حقوق العباد هي جزء من حقوق الله. يركز بعض الناس على

حقوق الله مثل الصلاة والصوم ويعتبرونها جوهر الدين، بينما يهمل البعض الآخر حقوق العباد ويظنون أن الدين يقتصر فقط على التعامل مع الناس بشكل جيد.

٧- الانشغال بالسياسة

هناك بعض الأشخاص الذين ينشغلون طيلة حياتهم بالسياسة والأيديولوجيات السياسية، حتى أنها تصبح محط تركيزهم الرئيسي. وعندما ينصحون بالالتزام بأداء الصلاة والصوم، يردون بالقول أن البلاد في حالة من الاستعباد والفساد، وأنه من غير المجدي التفكير في العبادة في ظل هذه الظروف.

إن الأسباب التي أدت إلى ظهور هذه المفاهيم بين المسلمين متعددة، ولكن نرى أن السبب الرئيسي يكمن في ابتعادهم عن القرآن الكريم. في الفقرة التالية، سنعرض التصور الذي يقدمه القرآن الكريم للدين.

تصور الدين الحق في القرآن الكريم

يقدم القرآن الكريم تصورًا واضحًا وشاملًا للدين، ويبين لنا مبادئ النجاح في هذه الدنيا وفي الآخرة:

١- الدنيا اختبار: القرآن يعلمنا أن الحياة على الأرض هي امتحان (الملك ٦٧:٢).

٢- الغاية من الحياة: خلق الله الإنسان لعبادته فقط، وهذا هو الهدف الرئيسي للحياة (الذاريات ٥١:٥٦).

٣- التسليم الكامل للإسلام: يجب على المسلمين أن يلتزموا بالكامل بتعاليم الإسلام، وألا يتبعوا خطوات الشيطان الذي هو عدو الإنسان (البقرة ٢:٢٠٨).

٤- العدل والإحسان: القرآن يدعونا للعمل بالعدل والإحسان في حياتنا لضمان التوازن والرحمة (النحل ١٦:٩٠).

٥- العدالة في ظل العداء: القرآن يوجهنا أن العداء تجاه أمة أخرى لا يجب أن يخرجنا عن العدل (المائدة ٥:٨).

٦- العمل الصالح والتقوى: في الآخرة، يحصل كل شخص على ما كسبه في الدنيا (النجم ٥٣:٣٩-٤٠).

٧- عدم الاعتماد على الشفاعة: في الآخرة، لا يفيد أحدًا الشفاعة أو مساعدة

الآخرين، بل تُحسب أعمال الشخص فقط (البقرة ٢:١٢٣).

٨- الدنيا خداع: الحياة في هذه الدنيا إذا كانت بعيدة عن الله، هي في النهاية خداع (الحديد ٥٧:٢٠).

٩- الثبات على الحق: القرآن يشجعنا على الثبات على الحق في حياتنا والعمل به، ونشره للآخرين (العصر ١٠٣:١-٣).

١٠- حماية النفس والعائلة من النار: القرآن يحثنا على حماية أنفسنا وأسرنا من النار التي وقودها الناس والحجارة (التحريم ٦٦:٦).

١١- علم الله بكل شيء: الله يعلم خفايا قلوبنا وكل ما تفعله أعيننا (المؤمنون ٤٠:١٩).

١٢- المحاسبة في يوم القيامة: في يوم القيامة، سيُعرض على كل إنسان أعماله حتى لو كانت صغيرة كحبة خردل (الزلزال ٩٩:٧-٨).

١٣- الشفاعة غير مجدية: يوم القيامة، لن تفيد الشفاعة أحدًا، وسيحاسب كل إنسان على أعماله فقط (البقرة ٢:٤٨).

١٤- الندم في يوم القيامة: سيتمنى الناس يوم القيامة لو أن بإمكانهم أن يعودوا إلى الدنيا ليعملوا أعمالًا صالحة، لكن ذلك سيكون مستحيلًا (المؤمنون ٢٣:٩٩-١٠٠).

١٥- البحث عن الفداء في الآخرة: سيطلب المذنبون في يوم القيامة فداء لأنفسهم بكل ما في الدنيا، ولكنهم لن يستطيعوا ذلك (المعارج ٧٠:١٤-١١).

١٦- البشرى للصالحين: القرآن يبشر من يتبع أوامر الله ويعيش حياته وفقًا لإرادته بالجنة (يونس ١٠:٦٢-٦٤).

١٧- الخلود في الجنة: الصالحون سيعيشون في الجنة إلى الأبد، حيث لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وسينعمون بنعم الله في رضا تام (البقرة ٢:٣٨).

وختامًا، يقدّم لنا القرآن الكريم رؤية واضحة لأهداف الحياة الحقيقية ويبين لنا السبيل إلى النجاح في الآخرة. من الضروري أن نفهم تعاليم القرآن الكريم بعمق، وأن نطبقها في حياتنا اليومية، مع الابتعاد عن الغلو والمفاهيم التقليدية

التي قد تبتعد عن جوهر الدين. يجب أن يكون عملنا متوافقًا مع القرآن الكريم والسنّة النبوية، لأن ذلك هو الضمان الحقيقي لتحقيق النجاح في الدنيا والآخرة.

المختارات

الكاتب: إمام المحدث شبيرأحمد أزهر الميرتهي
عرض وتقديم: د. محمد غطريف شهباز الندوي

أية سورة من القرآن أنزلت أولًا؟

(الحلقة الرابعة)

(مقتطف من شرحه الحافل للجامع الصحيح البخاري تحفة القاري بشرح صحيح البخاري)

[المختارات هو قسم مخصص لاختيارات من كتابات المؤلفين القدماء والجدد، وهدفه تقديم الفكر والنظر للماضي والحاضر أمام القراء والدار سين. ويتم فيها اقتباس مقاطع من تصانيف ممثلة لعلماء الماضي والتي تسلط الضوء على أفكارهم وأساليبهم، وكذلك تُضاف كتابات المؤلفين الجدد الفعّالة والموثوقة. وليس بالضرورة أن يتفق مدير التحرير والمؤسسة مع محتويات هذا القسم. الإدارة]

وقال الزهري في آخرحديثه هذا "ثم لم ينشب ورقةُ أن توفي وفترالوحي" يعني أن ورقة توفي بعد أيام ولم يدرك دعوة النبي صلى الله عليه وسلم قومه. وهذا صحيح وقد كذب ابن اسحاق إذ ذكر أن ورقة كان يمر ببلال وهو يعَذب في الله فيجزع له ويسليه" وهذا يقتضي أنه أدرك زمن الدعوة . والدليل على كذبه أن لوكان كذلك لجاهر ورقة الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان معه معيناً نصيراً وعدوه أهل العلم من أصحاب رسول الله. والصواب الصحيح أنه توفي في زمن فترة الوحي وكان ممتدا إلى شهر كما في حديث الأوزاعي عن يحي بن

كثير عن أبي سلمة عن جابر. (مسند أحمد ٣ ص ٣٠٦)

وذكر الزهري أن النبي صلى الله عليه وسلم حزن على فترة الوحي حزناً شديداً بلغنا أنه غدا من أجل ذلك الحزن مراراً كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال فكلما أوفي بذروة جبل تبدى له جبريل قائلاً يا محمد إنك رسول الله حقاً، فيسكن لذلك جأشه وتقرنفسه فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا تمثل ذلك فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال بمثل ذلك. (صحيح البخاري ص ١٠٣٣ الباب الأول من كتاب التعبير)

والله لقد أخطأ البخاري إذ أثبته في الصحيح وكان واجباً عليه أن يسقطه. ويدل على بطلانه وجوه: (١) إنه يصرح بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى جبريل في زمن فترة الوحي مراراً والمصرح في حديث أبي سلمة عن جابرأنه لم يره قط بعد حراء إلا عند نزول أوائل سورة المدثر. وهذا الحديث رواه الزهري نفسه عن أبي سلمة.وبالاسف أن البخاري لم يخطربباله أن حديث الزهري عن أبي سلمة عن جابرمضاد ومباين لهذا الذي ذكره الزهري من بلاغاته ولم يسم من ذكرله ذلك فكيف ذكره في كتابه هذا الذي سماه الجامع الصحيح المسند إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم!

(٢) لا يظن أحد إذا خلارسول الله ونفسه أن عدم إتيان الوحي الجديد حينئذ كان مثاراً لمثل هذالحزن الشديد.

(٣) الانتحار من الذنوب الكبيرة والعزم على المعصية معصية فكيف يصح ويسوغ أن ينسب عزم الانتحارإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم المعصوم!

تنبيه هام: ذكرالحافظ ابن حجرفي فتح الباري أن عبد الله بن لهيعة روى عن أبي الأسود عن عروة عن عائشة قالت إن النبي صلى الله عليه وسلم كان أول شأنه يرى في المنام وكان أول ما رأى جبريل بأجياد. صرخ جبريل يامحمد فنظر يميناً وشمالاً فلم ير شيئاً فرفع بصره فإذا هو على أفق السماء فقال يامحمد جبريل فهرب فدخل في الناس فلم يرشيئاً ثم خرج عنهم فناداه فهرب ثم استعلن له جبريل من قبل حراء فذكر قصة إقرائه اقرأباسم ربك إلخ ورأى حينئذ جبريل له جناحان من ياقوت يختطفان البصر-قال ابن حجروالترمذي من طريق مسروق عن عائشة لم يرمحمد صلى الله عله وسلم في صورته إلا مرتين مرة عند

سدرة المنتهى ومرة في أجياد-وهذا يقوي رواية ابن لهيعة(فتح الباري) العجب من ابن حجرماذا أراد بذكر رواية ابن لهيعة هذه وتقويتها برواية الترمذي! والحال أن رواية الترمذي هذه ضعيفة جداً. فإنها من طريق مجالد بن سعيد عن الشعبي عن مسروق. ومجالد هذا ضعيف بالمرة وهو أضعف من عبد الله ابن لهيعة بدرجات. فإنك تجد في ماروى ابن لهيعة أحاديث كثيرة صحيحة كما تجد أحاديث ضعيفة واهية ولكنك لاتجد في ماروى مجالد عن الشعبي شيئاًصحيحاً. وانظر إلى تلبيس ابن حجرأنه لم يذكراسم مجالد عمداً، فالصواب أن حديث مجالد عن الشعبي عن مسروق وحديث ابن لهيعة كلاهما منكران ساقطان.

روايات حديث أبي سلمة عن جابرفي نزول أوائل سورة المدثر

أخرجه البخاري في مواضع(الأول)هنا في بدء الوحي

(الثاني) ثم أخرجه بعين هذا الإسناد في تفسيرسورة المدثر قال:

حدثنا يحيي بن بكير ثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب، ح وحدثني عبد الله بن محمد ثنا عبد الرزاق أخبرنا عن الزهري قال: فأخبرني أبوسلمة بن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله سمعت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه: فبينا أنا أمشي إذ سمعت صوتا من السماء فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فجئثت منه رعباً فرجعت فقلت زملوني زملوني فدثروه فأنزل الله تعالى يا أيها المدثر إلى قوله والرجز فاهجر قبل أن تفرض الصلاة، وهي الأوثان (ص ٧٣٣ كتاب التفسير) وهي خطأ من الناسخ والصواب والرجز الأوثان كما في بدء الوحي وهذا تفسير من ابي سلمة. قول الزهري فأخبرني معناه أن عروة بن الزبيرأخبرني عن عائشة حديثا طويلاً في نزول إقرأ باسم ربك الذي خلق وبعد ذلك أخبرني أبوسلمة هذا الحديث عن جابر فثبت أن أوائل سورة العلق نزلت أولاثم نزلت أوائل سورة المدثر.

(الثالث) قال البخاري حدثنا يحي بن بكير ثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب قال سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن يقول أخبرني جابربن عبد الله أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ثم فترالوحي فبينا أناأمشي إذ سمعت صوتًا من السماء فرفعت بصري إلى السماء فإذا الملك الذي جائني بحراء قاعد بين

السماء والارض.(صحيح البخاري ص ٩١٥ كتاب الأدب باب رفع البصرإلى السماء

(الرابع) وقال حدثنا عبد الله بن يوسف ثنا الليث ثني عقيل عن ابن شهاب قال سمعت أبا سلمة أخبرني جابربن عبد الله أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ثم فترالوحي عني فترة فبينا أنا أمشي سمعت صوتا من السماء فرفعت بصري قبل السماء فإذا الملك الذي جائني بحراء قاعد بين السماء والارض. (صحيح البخاري ص ٩١٥ كتاب الأدب باب رفع البصرإلى السماء فجئثت منه حتى هويت إلى الأرض فجئت أهلي فقلت زملوني زملوني فأنزل الله تعالى يا أيها المدثر إلى قوله فاهجر قال أبو سلمة الأوثان، جئثت أي سقطت على الأرض (صحيح البخاري ص ٤٥٩كتاب بدء الخلق ذكرالملائكة)

(الخامس) وأخرجه بعين هذا الإسناد في تفسير سورة المدثر وزاد في آخره ثم حمي الوحي وتتابع (البخاري ص ٧٣٣ كتاب التفسير) ورواه أحمد عن حجاج بن محمد عن ليث به (مسند ٣ ص) ٣٢٥) ومسلم عن عبد الملك بن شعيب عن أبيه عن جده ليث به.

(السادس) وأخرجه البخاري عن سعيد بن مروان البغدادي عن محمد بن عبد العزيز بن أبي رِزمة عن أبي صالح سلمويه عن عبد الله بن المبارك عن يونس بن يزيد عن الزهري به. (البخاري ص ٧٣٩ تفسيرسورة العلق وفيه أيضا أن الزهري قال فأخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن، ورواه مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق عن معمرعن الزهري به والترمذي عن عبد بن حميد عن عبد الرزاق به(مسلم١ ص٩٠ كتاب الإيمان طبع الهند وسنن الترمذي في سورة المدثر أبواب التفسير) ويستفاد من حديث الزهري عن أبي سلمة هذا أن جابراً لم يكن حاضراً إذ حدث رسول الله بقصة حراء ونزول أوائل سورة العلق وسمعتها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها منه فحدثت به عروة وفي آخرحديثها أن الوحي فترمنه فترة فأتي جابروالنبي صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحي فحدث به جابرأباسلمة وحدث به أبوسلمة الزهري فتلقى الزهري قصة نزول أوائل سورة العلق من عروة وحديث نزول أوائل سورة المدثر من أبي سلمة.

(السابع) قال البخاري حدثني اسحاق بن منصورثنا عبد الصمد ثنا حرب

ثنا يحي قال سألت أبا سلمة أي القرآن انزل أول؟ فقال سألت جابربن عبد الله أي القرآن أنزل أولاً ؟قال ياأيها المدثر فقلت أنبئت أنه إقرأ باسم ربك الذي خلق قال لا أخبرك إلا بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: جاورت في حراء فلما قضيت جواري هبطت فاستبطنت الوادي فنوديت فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي فإذا هو جالس على كرسي بين السماء والأرض فاتيت خديجة فقلت دثروني وصبوا علي ماءً بارداً فانزل عليّ ياأيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر (صحيح البخاري ص ٧٣٣كتاب التفسير)

(التراجم) **أبوسلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني**، اسمه كنيته، تابعي جليل ولد سنة ثنتين وثلاثين ومات سنة أربع ومئة على قول الواقدي وسنة أربع وتسعين على قول ابن سعد – وأمه تماضربنت الاصبغ الكلبية لم يسمع من أبيه شيئا توفي عبد الرحمن وأبو سلمة صغيرولم يسمع من أبي موسى الأشعري ولامن أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها ولامن سلمة بن صخر البياضي ولم يدرك أبابكروعمرولم يسمع من عثمان ولاطلحة ولاعمروبن امية ولاعبادة بن الصامت ولاأبي الدرداء ،ولما تولى المدينة سعيد بن العاص لمعاوية المرة الأولى استقضى أباسلمة على المدينة.

يحي :هو ابن كثير الطائي ولاءً أبو نصراليمامي روى عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وهلال بن أبي ميمونة ومحمد بن إبراهيم التيمي وخلق كثير وكان ثقة كثيرالعلم كثيرالإرسال ،رأى أنساً ولم يسمع منه ولامن أحد من الصحابة ولامن الأعرج ولامن أبي بكربن عبد الرحمن ولا من نوف ولا من السائب بن يزيد واختلف في سماعه من عروة أثبته يحي بن معين وأنكره أبوزرعة وأبو حاتم وأثبت أبوحاتم سماعه من زيد بن سلام وأنكره ابن معين وحسين المعلم وقال يحي بن سعيد مرسلات يحي بن أبي كثيرشبه الريح، توفي سنة اثنتين وثلاثين ومئة.

جابربن عبد الله بن عمروبن حرام بن ثعلبة الخزرجي أبو عبد الله السلمي رضي الله عنه،لم يشهد بدراًولاأحدا وكان إذ وقعت غزوة بدرابن سبع عشرسنة وأراد أن يخرج في أحد فمنعه أبوه عبد الله رضي الله عنه وبعد ذلك لم يتخلف في غزوة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يصح ماذكره أبومعاوية عن

الأعمش عن أبي سفيان عن جابرقال كنت أمج أصحابي الماء يوم بدر. واختلف في سنة وفاته فقال ابن سعد والهيثم سنة ثلاث وسبعين وقال أبو نعيم وابن حبان سنة سبع وسبعين وقال عمرو على ويحي بن بكير وغيرهما سنة ثمان وسبعين- وصلى عليه أبان بن عثمان وهو آخرمن مات من الصحابة بالمدينة. وقال البخاري صلى عليه الحجاج (من تهذيب التهذيب)

الثامن: قال البخاري حدثني محمد بن بشارثناعبد الرحمن بن مهدي وغيره قالا ثناحرب بن شداد عن يحى بن كثيرعن أبي سلمة بن عبد الرحمان عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء مثل حديث عثمان بن عمرعن علي بن المبارك (صحيح البخاري ص ٧٣٣تفسيرسورة المدثر)

قلت أن البخاري لم يخرج رواية عثمان بن هذه التي أحال إليها حديثه هذا،نعم أخرجها مسلم ولم يسق لفظه تاما،قال حدثنا محمد بن المثنى ثناعثمان بن عمرأنا علي بن المبارك عن يحي بن أبي كثيربهذا الإسناد وقال :فإذا هو جالس على عرش بين السماء والارض(صحيح مسلم ١ص ٩٠ كتاب الإيمان طبع الهند) ورواه أبان بن يزيد العطار والأوزاعي أيضا عن يحي بن أبي كثير به. قال أحمد حدثنا الوليد بن مسلم ثنا الأوزاعي أنه سمع يحيي ح وحدثنا وكيع ثنا علي بن المبارك عن يحي بن أبي كثير المعنى قال سمعت أباسلمة أي القرآن أنزل قبل فقال ياأيها المدثر فقلت أو "اقرأ ؟"فقال سألت جابراً عن ذلك فقال أحدثكم ماحدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء شهراً فلما قضيت جواري نزلتُ فاستبطنت بطن الوادي فنوديتُ فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وشمالي فلم أرأحداًثم نوديت-قال أبوالوليد في حديثه فرفعت رأسي فإذا هو على العرش في الهواء فأخذتني رجفة شديدة، وقالا في حديثهما فاتيت خديجة فقلت دثروني دثروني وصبوا علىّ ماءاً فانزل الله عزوجل ياأيها المدثر إلى قوله فطهر (مسند أحمد ص ٣٠٦)كذا رواه مسلم عن زهيربن حرب عن الوليد بن مسلم به. (صحيح مسلم ١ص ٩كتاب الإيمان طبع الهند) وفيه رجفة وقال أحمد حدثنا عفان ثنا أبان العطار ثنا يحى بن أبي كثيربه (مسند ٣ ص ٣٢٩)

فرواه عن يحي بن أبي كثير علي بن المبارك وحرب بن شداد والأوزاعي وأبان العطار.

(التاسع) قال البخاري حدثنا يحي ثنا وكيع عن علي بن المبارك عن يحي بن أبي كثيرقال سألت أباسلمة بن عبد الرحمن عن أول مانزل من القرآن قال: ياأيها المدثر قلت يقولون إقرأباسم ربك الذي خلق؟ فقال أبو سلمة سألت جابربن عبد الله عن ذلك وقلت له مثل الذي قلتَ فقال جابر لاأحدثك إلا بماحدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: جاورت بحراء فلما قضيت جواري هبطت فنوديتُ فنظرت عن يميني فلم أرشيئاً ونظرت عن شمالي فلم أر شيئاً ونظرت أمامي فلم أرشيئاً ونظرت خلفي فلم أر شيئاً فرفعت رأسي فرأيت شيئاً فاتيت خديجة فقلت دثروني وصُبواعليّ ماءً بارداً قال فدثروني وصبواعليّ ماءًابارداً قال فنزلت: ياأيها المدثرقم فأنذر وربك فكبر (صحيح البخاري ص ٧٣٢سورة المدثر) لم ينسب البخاري شيخه يحي وهما رجلان روياالحديث عن وكيع وعنهما البخاري فالمراد أحدهما واذكرترجمتهما مختصراً.

(التراجم) **يحي بن جعفربن أَعيَن الأزدي البارقي** أبوزكريا البخاري البيكندي روى عن ابن عيينة وأبي معاوية ووكيع ويزيد بن هارون وعبد الرزاق وغيرهم وعنه البخاري وحده من بين أرباب الصحاح وابنُه الحسين بن يحي وحمدَوَيه وغيرهم مات في شوال سنة ثلاث وأربعين ومأتين.

يحي بن موسى بن عبدربه: بن سالم الخُداني أبوزكريا البلخي المعروف بخَتّ ثقة ثبت روى عن ابن عيينة وأبي معاوية ووكيع والوليد بن مسلم وغيرهم وعنه الجماعة إلا ابن ماجة.مات في رمضان سنة تسع وثلاثين ومأتين.

وكيع بن الجراح بن مليح الرُواسي الكوفي ثقة ثبت علم من الأعلام وأبوه ضعيف جداً. ولد وكيع سنة ثمان وعشرين ومأة.ومات يوم عاشوراء منصرفا من الحج بموضع يقال له فيد سنة سبع وعشرين ومأة. وكان يروي كثيراً بالمعنى.

علي بن المبارك الهُنائي البصري ثقة ضابط متقن روى عن عبد العزيز بن صهيب وأيوب وهشام بن عروة ويحي بن أبي كثيروحسين المعلم وغيرهم وعنه وكيع ويحى القطان وابن المبارك وابن علية وغيرهم.

فروى حديث أبي سلمة عن جابر هذا الزهري ويحي بن أبي كثير. أما الزهري فرواه عنه عُقيل ويونس ومعمر بألفاظ متقاربة ومحمد بن أبي حفصة. أخرج حديثه أحمد وقد أخطأ ابن أبي حفصة فيه وخلط ين حديث عائشة وحديث

جابر (مسند ٣ص٣٧٧) وأما يحي فرواه عنه علي بن المبارك وحرب بن شداد والأوزاعي وأبان العطار. ودلت روايات هذا الحديث على أن أباسلمة لم يحدث به الزهري ولايحي تاماً ذكرللزهري مالم يذكره ليحي وذكرليحي مالم يذكره للزهري ويتم الحديث إذا جمعنا بين حديث الزهري وحديث يحي.إنه صرح للزهري بأن حديث جابر هذا متعلق بفترة الوحي،ولم يذكرذلك ليحي. وصرح ليحي بجوار النبي صلى الله عليه وسلم أي اعتكافه بغارحراء ولم يذكره للزهري. وفي حديث يحي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قضى جواره وهبط من حراء وبلغ بطن الوادي نودي من السماء وليس هذا في حديث الزهري، وفي حديث يحي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: فرفعت رأسي فإذا هو قاعد بين السماء والارض، فإلى مَن يرجع الضمير هو؟ إن مرجعه ليس بمذكور في حديث يحي وبينه حديث الزهري فإن فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على عرش أو كرسي بين السماء والارض فلابد من الجمع بين الحديثين وجعلهما حديثاً واحداً لاتحاد المخرج.

فالحديث التام إذا أن جابراً رضي الله عنه أخبرأباسلمة بن عبدالرحمن أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرهم عن فترة الوحي بعد مالقيه جبريل بحراء أول مرة، والمراد بفترة الوحي أنه لم ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم بواسطة الملك ولابدون واسطته مدة قصيرة لم تتجاوز شهراً وذهب النبي صلى الله عليه وسلم بعد لقاءه ورقة إلى غار حراء على عادته المألوفة ليدعو ربه ويشتغل في ذكره وتسبيحه متبتلاً إليه منقطعاً عن ماسواه، فلما قضى جواره واعتكافه ونزل من جبل حراء راجعاً إلى بيته ودخل بطن الوادي إذ سمع منادياً يناديه، فنظرفلم يرأحداً فنودي وأحس أن الصوت من قِبَل السماء فرفع رأسه فإذالذي جاءه بحراء وغطه ثلاثاً واقرأه والذي قال فيه ورقة أنه الناموس الذي كان ينزل على موسى إذا هو جالس في الهواء على عرش بين السماء والارض فخرعلى الارض دهشة وهيبةً فلما أفاق أسرع إلى بيته وقد أخذته الرجفة الشديدة فقال لأهله خديجة رضي الله عنها دثروني دثروني وصُبوا عليّ ماءً بارداً ففعلت فأوحي إليه في تلك الحالة: ياأيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولاتمنن تستكثر ولربك فاصبر وتلاجابر على أبي سلمة هذه الآيات إلى قوله: والرجز فاهجر، وقال

أبوسلمة إن الرجز بمعنى الأوثان. والمستفاد من نظم الآيات ونسقها أنهانزلت حينئذ إلى قوله: غيريسير، فانكشف الغطاء وانجلي الأمر. أُمر النبي صلى الله عليه وسلم بالقيام بالدعوة إلى الله وإنذارالناس أخذه وعذابه.ذكرالبخاري رحمه الله حديث الزهري عن عروة عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها المصرح فيه أن بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بالرؤيا الصادقة ثم بتمثل الملك له رجلاً في غار حراء أمره بالقرأة وغطه ثلاثاً ثم لقنه أوائل سورة العلق بدون أن يعرف إليه نفسه، لم يقل له أناجبريل وأن الله أرسلني إليك وجعلك نبياً وهذا الذي لقنته إياك من كلامه نزلت به إليك.لم يقل له شيئاً من ذلك وتركه مندهشاً.فذكرله ورقة أنه الناموس ولم يقل إن اسمه جبريل وأخبره أن قومك يعني أهل مكة سيعادونك ويخرجونك منها.ثم ذكرالبخاري حديث الزهري عن أبي سلمة عن جابرذكرفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى الملك الذي اتاه بحراء فرأى ذلك الملك جالساً على كرسي بين السماء والأرض فرُعب منه وخرعلى الأرض مغشياً عليه ورجع إلى بيته إذ أفاق وهو يرتعد فقال لأهله دثروني دثروني وصبواعليّ ماءً بارداً فدثرته خديجة رضي الله عنها ففي تلك الحالة نزلت عليه أوائل سورة المدثروالظاهرأنها نزلت عليه في صوت مثل صوت الجرس ففصم عنه وقد وعاه وعياً فكان وحيهاإليه بدون واسطة الملك.

سورة الفاتحة هي أول ما نزل من القرآن: وقد ذكرت الحديثين كليهما بطرقهما ورواياتهما وأفرغت ماكان عندي من الجهد في بيان معانيهما وعُد أيهاالقارئ إلى ماكتبت في ترجمة الزهري ابن شهاب (وقد مضى في الحلقة الأولى من البحث والتي نشرت في الإشراق العربي، العدد الثاني في شهر مارس سنة ٢٠٢٥) ثم استمع إلى ما أقول:

إن السورة الأولى من القرآن المجيد سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتحة الكتاب وأم القرآن وهي أساس بُني عليه القرآن كله بسوَره الطوال وسوَره القصار، وعلم الله فيها العباد أن يحمدوا ربهم ويثنوا عليه ويعترفوا بأنهم يخصونه بالعبادة والاستعانة، لايعبدون إلا إياه، ولايستعينون أحداً سواه، ثم يسئلوه أن يهديهم الصراط المستقيم وبين الله لهم في جميع القرآن ذلك الصراط المستقيم الذي هو مطلوبهم ومسؤولهم. فقل لي بربك أليس أن الأساس يكون

أول وجوداً من البناء نفسه؟ أيخلق الله الأولاد قبل أمهم ؟ أليس أن رسول الله سن وشرع في الصلاة أن يقرء المصلى سورة الفاتحة في كل ركعة منها؟ فنرى أن سورة الفاتحة هي أول القرآن نزولاً. وقد علمنا أن الزهري أخطأ في مواضع من هذا الحديث الذي رواه عن عروة عن أم المؤمنين رضي الله عنها:

(أ) إنه ذكريتحنث مكان يتحنف

(ب) وإنه قصر في حكاية ماقال ورقة بن نوفل للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يذكر أنه قد كان قال له"وأن بين يديك أياماشديدة" ولايصح بدونه ذكرُ ورقة للنبي صلى الله عليه وسلم أن قومك سيخرجونك.

(ج) وذكر الزهري في آخرالحديث قصة باطلة لاأصل لها ولاتصح رواية ولادراية أعني قصة عزم النبي صلى الله عليه وسلم على الانتحار مراراً، فكذلك لعل الزهري قد أخطأ إذ ذكر في هذا الحديث إقرأ باسم ربك الذي خلق مكان الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين إلخ.

(للبحث صلة)

الكاتب: العلامة شبيرأحمد أزهر الميرتهي
نقله إلي العربية: د. محمد غطريف شهباز الندوي

دراسة مواقف علي و معاوية رضي الله عنهما عن قضية التحكيم

(الحلقة الثالثة والأخيرة)

خرج الاشعث بذلک الکتاب یقرئه علی الناس ویعرضه علیهم فیقرؤنه حتی مر به علی طائفة من بنی تمیم، فیهم عروة بن أدیة وهو أخو بلال فقرء علیهم فقال عروة بن أدیه تحکّمون في أمر الله عز و جل الرجالَ، لا حکم إلا لله ثم شذ بسیفه فضرب به عجز دابته ضربة خفیفة واندفعت الدابة (تاریخ الرسل والممالک الجزء الخامس تحقیق محمد ابو الفضل إبراهیم الطبعة الثانیة دار المعارف مصر ص ٥٥)-

ولم یکن یعلو هذا الصوت علی النقیض من ذلك الاتفاق صوتا واحدا منفردا لعروة بن أدیة وحده ، ولکن کانت هناك مجموعة صالحة من الناس بدأت تقوله والآن انقسم جیش علي رضي الله عنه إلی مجموعتین بطبیعة الحال. فمجموعة تعتقد أن هذه التسویة والاتفاق صحیح، بینما اعتبرتها مجموعة أخری أنها لیست خاطئة فحسب، بل کانت کفراء، کانت المجموعة الأولی من القوات تشکل الأغلبیة، ولکن المجموعة الثانیة لم تکن صغیرة في العدد أیضًا.

وعاد معاویة بجیشه إلی دمشق وخرج علي من صفین إلی الکوفة وعلی طول الطریق کانت هاتان المجموعتان من جیش علي تتقاتلان فیمابینهما، یقول ابن

جرير الطبري:

قال أبو مخنف ثنا أبو جناب الكلبي عن عمارة بن ربيعه قال خرجوا مع علي إلى صفين وهم متوادون أحباء فرجعوا متباغضين أعداء- مابرحوا من عسكرهم حتى فشا فيهم التحكيم ولقد أقبلوا يتدافعون الطريق كله ويتشائمون ويضطربون بالسياط- يقول الخوارج يا اعداء الله ادهنتم في امر الله عزوجل وحكّمتم- وقال الآخرون فارقتم إمامنا و فرّقتم جماعتنا فلما دخل علي الكوفة لم يدخلوا معه حتى أتوا حروراء، فنزل بها منهم إثنا عشر الفا و نادى مناديهم إن امير القتال شبث بن ربعي التميمي و أمير الصلاة عبد الله بن الكواء اليشكري والأمرشورى بعد الفتح والبيعة لله عزوجل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- (أيضاً ص ٦٣)

وتدل هذه الرواية أن الخوارج كانوا قومًا لم يصوبوا الصلح، وأرادوا القتال المستمر مع معاوية. لأن معاوية ومن معه من الناس كانوا واجبو القتل والقتال عندهم شرعاً. ولا يصح الصلح مع من يجب قتله، ومن يجب قتاله. (وكان العديد منهم قتلة عثمان رضي الله عنه فكانوا يرون موتهم إذا كان هناك مصالحة بين الطرفين،غ)

ويتم التحكيم عموماً في حكم يتعلق بشخصين، لا يمكن القول على وجه اليقين أن أحدهما على حق والآخر على خطأ تماما .

ولكن إذا كان خطأ شخص ما واضحًا جدا وكان مذنبًا بشكل علني في ارتكاب جريمة، فإن فإن التحكيم فيه لا معنى له.

كما لو ارتكب نفر من الناس السرقة أو الزنا معاً، أو ارتد نفر من الناس معاً، لا قدر الله، فإنه لا يمكن المصالحة مع هؤلاء المجرمين.

وعلى وجه الخصوص، من غير المعقول وغير المشروع على الإطلاق أن نجعل أحد هؤلاء المجرمين قاضيا فيهم.

هذه كانت نظرية واستدلال هؤلاء الخوارج في أمر معاوية رضي الله عنه وغيره وفي شأن الصلح وعهد التحكيم.

ومع هذه المفاهيم الخاطئة قد يتساءل قائل: لماذا تفترضون أن الأمير معاوية رضي الله عنه وأصحابه يجب أن يُقتلوا ويُقاتَلوا؟ ما هي الجرائم التي توجب قتل المسلم في الشريعة الإسلامية والتي ارتكبها سيدنا معاوية رضي الله عنه وغيره؟

التهمة الوحيدة التي وجهت إليهم هي التمرد على حكم علي

ولكن في الحقيقة فإن هذه التهمة لا توجه إليهم أصلا، لأن معارضة الحكومة الإسلامية القائمة ومحاولة قلبها هي التمرد والعصيان أصلاً، ومرتكب هذه الجريمة يستحق الموت بالتأكيد.

ولذلك فإن كل من خرج على عثمان رضي الله عنه كان بلا استثناء خارجاً وباغيا على الإسلام، ويستحق القتل شرعاً.

فإن لم يبايع الأمير معاوية علياً (رضي الله عنه)، فسبق أن لم يبايع سيدنا علي أبا بكر (رضي الله عنه ستة أشهر، حسب رواية البخاري.

وقد بايعه بعد بيعة عامة المسلمين له بستة أشهر، ولكن بما أنه لم يقف ضد أبي بكر طيلة هذه المدة، ولم يحاول فعلياً قلب حكومة أبي بكر، فقد بُرِّئَ من تهمة الخروج على خليفة الرسول.

وفي عهد عثمان رضي الله عنه، ورغم أن علي رضي الله عنه لم يكن راضياً عن أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه، وتشير العديد من الروايات إلى أنه كان على علاقات مع زعماء المتمردين، مثل مالك الأشتر، ورغم أنه لم يبذل أي جهد خاص لقمع هذا التمرد، بل صار في النهاية محايداً تقريباً ورغم أننا نعتقد أن هذه الأحاديث أيضاً تحتاج إلى بحث وتحقيق وتمحيص.

ولذا لا يمكن الجزم بأن علياً ثار على عثمان رضي الله عنه أو شارك في التمرد، والسبب في ذلك لأن سيدنا علي لم يخرج على سيدنا عثمان (رضي الله عنه)

وعليه فصح أيضاً أن معاوية، وعمرو بن العاص، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، ومغيرة بن شعبة، والنعمان بن بشير، وزيد بن ثابت، وكعب بن مالك، ومحمد بن مسلمة، ورافع بن خديج، وفضالة بن عبيد، وكعب بن عجرة، وعبد الله بن سلام، وأسامة بن زيد، وصهيب بن سنان، وسلمة بن سلامة، والحسان بن ثابت (رضي الله عنهم) لا يمكن اعتبارهم متمردين لمجرد أنهم لم يبايعوا علياً (رضي الله عنه). لأن هؤلاء الناس، على الرغم من عدم مبايعتهم له لم يحاولوا الإطاحة بحكومة علي (رضي الله عنه) أو الثورة ضده.

أما ما يتعلق بحرب صفين، فإن موقف الأمير معاوية رضي الله عنه كان موقفًا دفاعيًا. ومن المعروف أن معاوية رضي الله عنه كان حاكمًا على بلاد الشام

بأسرها، وكان أميرًا محبوبًا لدى الجميع، وكان لديه جيش مدرب تدريبًا منتظمًا، يُضرب به المثل في الولاء والطاعة. فلو أراد معاوية رضي الله عنه، لكان بإمكانه أن يهاجم عليًا رضي الله عنه في الوقت الذي وصل فيه إلى البصرة لمواجهة أم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم، ووقعت معركة الجمل.

وقد ذُكر في تاريخ الطبري وغيرها من المصادر أن عليًا رضي الله عنه كان في الأصل قد شرع في الاستعداد من المدينة لمهاجمة معاوية رضي الله عنه، وأقام بجيشه في موضع "الربذة". وخلال ذلك، بلغه أن أم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم متوجهون من مكة إلى البصرة، فعدل عن قصده إلى الشام وتوجه إلى البصرة، ولما فرغ من معركة الجمل، انطلق بجيش قوامه تسعون ألفًا نحو الشام. وعندما علم معاوية رضي الله عنه بذلك، خرج هو أيضًا لمواجهته بجيش يقارب السبعين ألفًا.

وخلاصة القول، أن أمير معاوية رضي الله عنه لم يخرج على علي رضي الله عنه خروجًا مسلحًا حتى يُعتبر باغيًا بناءً على ذلك.

إذًا، لماذا كان علي رضي الله عنه يريد مواجهة معاوية وقام بمهاجمته؟ لأن رفض معاوية رضي الله عنه مبايعة علي رضي الله عنه كان يعني فعليًا أن بلاد الشام كلها ستنفصل عن سلطة علي، مما يؤدي إلى انقسام الدولة الإسلامية إلى قسمين، تحت حاكمين مختلفين، وهو أمر غير مسبوق في التاريخ الإسلامي. كما كان علي رضي الله عنه يرى أن اختياره للخلافة هو أمر مشروع، وأن على كل مسلم طاعته باعتباره أمير المؤمنين. ولهذا طالب معاوية رضي الله عنه بالاعتراف والطاعة، ولكن معاوية رفض ذلك. فاعتبره علي باغيًا ورأى أنه يُحدث فرقة بين المسلمين برفضه المبايعة.

ثم إن عليًا رضي الله عنه – سواء كانت تلك المعلومات صحيحة أم لا – وصلته تقارير بأن معاوية ومن معه يريدون الانتقام لدم عثمان رضي الله عنه من علي نفسه، ويتهمونه بقتله، ولذلك كان علي رضي الله عنه يخشى أن يبادره معاوية بالهجوم. فربما رأى من الحكمة، كما يقال في المثل الفارسي "علاج الواقعة قبل وقوعها"، أن يهاجم معاوية قبل أن يُهاجم.

لكن معاوية كان يرى، وربما كان مُحقًا في رأيه، أن أصحاب العدالة من

الأمة لم يختاروا عليًا للخلافة، بل إنما اختاره من شاركوا في الفتنة وقتل عثمان رضي الله عنه، فكيف يُفرض قرارهم على الأمة كلها؟ ولهذا رفض معاوية اعتبار اختيار علي للخلافة أمرًا شرعيًا، ولم يعترف به كأمير المؤمنين.

ومن الواضح أن من يعرف الوقائع عن قرب وبغير تعصب، سيجد صعوبة في أن يعتبر أحد الرجلين على حق مطلق والآخر على باطل محض. لقد كان الأمر معقدًا آنذاك، وهو معقد اليوم، وربما يظل معقدًا على الدوام إلى يوم القيامة. ولا ضير في ذلك، فعلينا أن نفهم أن كليهما كان معذورًا، وكلٌ كان يرى نفسه على حق.

ثم قدم معاوية رضي الله عنه اقتراح التحكيم لوقف سفك الدماء في صفين، وقد قبله علي رضي الله عنه طوعًا (ونحن نرى أن الروايات التي تزعم أن عليًا رضي الله عنه قَبِل بالتحكيم تحت ضغط جيشه، وأنه كان يريد مواصلة القتال، روايات غير صحيحة كما حققناها في مامرمن البحث).

وكان المقصود من التحكيم أن يُمثّل كل طرف رجلٌ حكيم وعالم، يعرف موقف الطرف الذي يُمثله وحججه الشرعية: رجل من طرف معاوية يعرف لماذا رفض المبايعة وما هي حججه الشرعية، ورجل من طرف علي يشرح لماذا يجب على معاوية المبايعة، ولماذا علي هو أمير المؤمنين الشرعي، ولماذا لم يقتص من قتلة عثمان لأسباب معينة، وهكذا.

وكان هذا الاقتراح اقتراحًا معقولًا جدًا، واعتراض الخوارج عليه كان نتيجة جهلهم وسوء فهمهم. فقد اعتبر هؤلاء الجهلة أن الهدنة والمصالحة ميوعة في الدين، وقبول التحكيم كفر، في حين أن الهدف من الاثنين كان الخير للأمة ونجم من قوة الإيمان.

وهناك خلط شائع أيضًا بأن هؤلاء الخوارج هم من أجبروا عليًا رضي الله عنه على قبول المصالحة أولًا، ثم عادوا فأنكروا ذلك واعتبروه كفرًا، وقالوا لعلي إننا قد تبنا من هذا الفعل الكفري، فتُبْ أنت أيضًا، واعترف أن ما فعلته كان باطلًا وكفرًا.

وقد بيّنا أن عليًا رضي الله عنه لم يقبل المصالحة تحت أي ضغط، بل كان في جيشه منذ البداية من لا يريد المصالحة بأي ثمن. وكان الخوارج من هؤلاء، ومن

هذا نستدل على أن فيهم من شارك في قتل عثمان رضي الله عنه.

فأرسل علي رضي الله عنه إلى الخوارج الذين تجمعوا في حروراء أولًا عبد الله بن عباس رضي الله عنه، ثم ذهب بنفسه إليهم، وأقنعهم بالعودة إلى الكوفة. ولكنهم ظلوا في الكوفة يُثيرون المشاكل من حين لآخر، خاصة عندما كان علي رضي الله عنه يخطب، فكانوا يقاطعونه من كل جانب مرددين: "لا حكم إلا لله"، مما كان يصعّب عليه إتمام الخطبة.

ثم لما أرسل علي رضي الله عنه أبا موسى الأشعري ومعه شريح بن هانئ وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم على رأس أربعمئة رجل إلى موقع "أذرح" بدومة الجندل حيث كان من المقرر أن يلتقي الحكمان عمرو بن العاص وأبو موسى، اجتمع الخوارج بالكوفة في بيت عبد الله بن وهب الراسبي، واختاروه أميرًا عليهم، وقرروا أن يجمعوا أنصارهم في النهروان. وكتب الراسبي إلى خوارج البصرة يُعلمهم بما جرى ويحثهم على الانضمام إليه، وقرر أن يحتل مدينة المدائن.

فخرج الراسبي مع ثلاثين رجلًا، وتبعهم الباقون نحو النهروان، ولكن سعد بن مسعود الثقفي، حاكم المدائن من قبل علي رضي الله عنه، علم بأمرهم وخرج بخمسمئة فارس لمنعهم، فحصلت مواجهة خفيفة، ولكن الراسبي وجماعته تمكنوا من الإفلات ليلًا وتوجهوا إلى النهروان. ولحق بهم من البصرة أيضًا خمسمئة خارجي بقيادة مسعر بن فدكي التميمي.

ولم يخرج التحكيم بنتيجة في صالح علي رضي الله عنه. فاعتبر علي أن هذا الحكم باطل، ودعا أهل الكوفة مجددًا إلى الاستعداد لحرب الشام، وكتب إلى الخوارج المجتمعين في النهروان أن التحكيم قد انتهى، ونحن الآن نريد مواجهة أهل الشام، فعودوا إلى الجيش. فردّ عليه الخوارج بما يلي:

أما بعد فانک لم تغضب لربک إنما غضبت لنفسک فإن شهدت على نفسک بالكفر و استقبلت التوبة نظرنا فی ما بيننا و بينک وإلا فقد نابذناک على سواء إن الله لا يحب الخائنين (ايضا ص ٧٨)

اجتمع لدى الإمام عليّ رضي الله عنه في موقع النخيلة جيشٌ مكوَّن من ثمانيةٍ وستين ألفًا ومئتي رجلٍ استعدادًا لمواجهة معاوية رضي الله عنه وأهل الشام، وكتب إلى سعد بن مسعود الثقفي، والي المدائن، يطلب منه إرسال المزيد

من الجنود. في هذه الأثناء، قام الخوارج بذبح عبد الله بن خباب، الذي كان حاكمًا على بعض مناطق المدائن من قِبل عليّ رضي الله عنه، وكان قادمًا إلى الكوفة مع جاريته الحامل. وعندما بلغ الخبر عليّا، أرسل الحارث بن مرة العبدي للتحقيق في الأمر، فقام الخوارج بقتله أيضًا. عندها سار عليّ رضي الله عنه بجيشه من النخيلة نحو النهروان.

وقبل بدء القتال، حاول عليّ رضي الله عنه مرة أخيرة أن يعيدهم إلى الطريق الصحيح، فأرسل إليهم من يقول: "سلموا إلينا من قتل عبد الله بن خباب والحارث بن مرة". لكن الخوارج أجابوا بأنهم جميعًا شركاء في ذلك القتل. وفي النهاية اشتعلت المعركة.

كان عدد الخوارج أربعة آلاف، التحق نحو مئة منهم بجيش عليّ رضي الله عنه بعد أن طلبوا الأمان، وانفصل فروة بن نوفل الأشجعي عنهم ومعه خمسمئة رجل، وذهب بعضهم متفرقين إلى الكوفة. ولم يبق مع عبد الله بن وهب الراسبي إلا ألفان وثمانمئة رجل، فقتلوا جميعًا بسرعة خاطفة كأنهم قُطِعوا كما تُقطع الجزر والفجل. وكان من بينهم عدة رجال من قتلة عثمان رضي الله عنه، مثل حرقوص بن زهير وشُريح بن أوفى العبسي.

(مترجمة من الأردية)

بقلم: نعيم أحمد بلوش

نقله إلى العربية: د. محمد غطريف شهباز الندوي

حياة أمين

(سيرة الشيخ المولانا أمين أحسن الإصلاحي)

[وفقًا لوصية صاحب "تدبر قرآن"

من كاتب سيرته نعيم أحمد بلوش]

(الحلقة الرابعة)

[تنشر هذه المقالات تحت عنوان "السير والسوانح للشخصيات"، وهي تعكس آراء وتحقيقات مؤلفيها الكرام، المستندة إلى أبحاثهم الخاصة، لذا، لا يلزم أن تتوافق المؤسسة مع جميع ما يرد فيها]

الحصول على الموارد المالية للمدارس

من الخصائص الثورية لمدرسة الإصلاح أنها كانت تتمتع بنظام مالي خاص بها، يختلف تمامًا عن المدارس الدينية التقليدية في ذلك الوقت. كانت معظم المدارس الدينية تعتمد على التبرعات والزكوات والصدقات كمصادر رئيسية لتمويلها. وكان المدرسون والطلاب يشاركون في هذه الحملات، مما يؤثر بشكل سلبي على كرامتهم. كانت هذه الظاهرة تمثل عقبة كبيرة في تحقيق الحق والبحث الحر. في ذلك الزمن، كانت العادة الشائعة في المدارس العربية أن الطلاب يتسولون الطعام مثل رهبان البوذية.

وفي هذا السياق، لا بد من ذكر أن البوذيين قد ساهموا بشكل كبير في نشر ثقافة التسول في منطقة شبه القارة الهندية، وقد تبنى بعض الصوفيين المسلمين هذه العادة أيضًا، مما أدى إلى انتقالها إلى المدارس الدينية. ويكتب الأستاذ شرف الدين الإصلاحي في كتابه "ذكر فراهي" أن مدرسة الإصلاح كانت تعتبر التسول مخالفًا للشريعة. لم تكن هناك أي عادة للتسول في هذه المدرسة. في سرائي مير، كان الطلاب يحملون أكياسًا كبيرة ويتسولون الطعام من الناس، وكان يُطلق على ذلك "ملئ القرص". كانت هذه ظاهرة من التسول التي كانت شائعة في العديد من المدارس حيث كان يتم توفير التعليم والمأوى للأطفال الفقراء، وكان يُطلب من الآباء أن يخصصوا واحدًا أو إثنين من أبنائهم "للدين". لكن مدرسة الإصلاح لم تكن تهدف إلى تعليم أطفال الفقراء كوسيلة للنجاة في الآخرة. لذلك، على عكس المدارس التقليدية، كانت أغلب الأطفال في مدرسة الإصلاح من أسر ميسورة الحال. وكان الكثير من النبلاء في المنطقة الذين شاركوا في تأسيس المدرسة يرسلون أطفالهم إليها أيضًا. تؤكد تاريخ مدرسة الإصلاح على أن العديد من العائلات الغنية، مثل عائلة مولانا شبلي النعماني وعائلة المولانا حميد الدين الفراهي والأفراد الذين لهم انتماء بهما كانوايدعمون المدرسة مالياً. (ذكر فراهي ٣٨١)

كان غالبية الطلاب يدفعون رسوم التعليم وجميع المصاريف بأنفسهم. أما الطلاب الفقراء الذين لم يتمكنوا من تحمل هذه التكاليف، فكانوا يحصلون على مساعدات، لكنهم لم يكونوا يعلمون أن تعليمهم كان مجانيًا أو مدعومًا حتى لا تتأثر كرامتهم. لذلك، كان بيئة مدرسة الإصلاح مختلفة تمامًا عن المدارس التقليدية. (ذكر فراهي ٣٩٥-٣٩٦)

إلى جانب ذلك، قدم المولانا حميد الدين الفراهي نظامًا جديدًا لتوفير الموارد المالية لمدرسة الإصلاح. فيكتب المولانا سليمان الندوي:

> "كان المولانا الفراهي يكره بشدة صفة التسول لدى العلماء. كان يرغب في إنهاء هذه العادة من المدارس الدينية. ولذلك، اشترى عقارًا ليكون مصدر دخل سنوي للمدرسة، وبدلاً من الاعتماد على التبرعات كما هو الحال في معظم المدارس العربية، أنشأ مصادر دخل تجارية وصناعية في مدرسته. وبمساعدة

من بعض المحسنين، نصب مطحنة دقيق مع محرك لتوفير دخل يومي للمدرسة. كما أسس قسمًا لصناعة الأحذية داخل المدرسة حيث كان يتم صنع الأحذية الجيدة والصنادل. كان المولانا الفراهي من قبل يشغل منصبًا مهمًا في حيدر آباد، وكان له علاقات جيدة مع كبار الشخصيات هناك، لكن لم يطلب أبدًا مساعدة من الدولة لمدرسته. كان يقول إن الرضا يأتي من الثقة بالله والاعتماد عليه في أوقات الشك".(تذكرة الراحلين، سليمان ندوي ١٥١)

من المهم أن نوضح أن حيدر آباد كانت في ذلك الوقت أغنى ولاية في شبه القارة الهندية. وكان مولانا حميد الدين الفراهي يشغل منصب رئيس مدرس في الجامعة العثمانية في ولاية حيدر آباد، وكان العلماء الكبار في الهند، مثل العلامة إقبال وعلامه شبلي نعماني، يعتبرون مساعدات مالية من الدولة أمرًا طبيعيًا، ولكن المولانا حميد الدين اتبع سياسة عدم قبول أي نوع من المساعدات الحكومية لمدرسة الإصلاح. وهذا المبدأ اتبعته المدرسة بشكل رسمي. وقد كان المولانا شبلي نعماني لا يرى أي عيب في قبول التبرعات الحكومية وكان قد حاول أيضًا جمع الأموال من الدولة لمدرسة الإصلاح، ولكن مولانا الفراهي كان ضد ذلك تمامًا، ولذلك جعل من سياسة المدرسة عدم قبول أي مساعدات من الحكومة.

وضحت هذه الفكرة في مقال نشره مولانا أمين أحسن في مجلة "الإصلاح" في يوليو ١٩٣٩.

نظام التربية

بشكل عام، سواء كانت المدارس الدينية أو المدارس العادية، كان التعذيب والضرب من الممارسات الشائعة لتدريب الطلاب. ولكن، كانت مدرسة الإصلاح تتميز عن غيرها في هذا المجال أيضًا. (كان ذلك في الماضي، ونحن نتحدث عن تلك الفترة الزمنية ونأمل أن تظل المدرسة اليوم متمسكة بهذه التقاليد العظيمة). يذكر شرف الدين الإصلاحي، الذي كان أيضًا طالبًا في مدرسة الإصلاح، في كتابه "ذكر فراهي:"

"في المدرسة، كان يتم تجنب إجبار الطلاب على أي شيء باستخدام القوة أو العقوبات الجسدية، بل كان يتم استخدام النصيحة والإرشاد بشكل غير مباشر،

دون الإضرار بكرامتهم. كان يتم جمع الطلاب بشكل غير رسمي مرة في الأسبوع، حيث يتم توجيه النصيحة إليهم دون الكشف عن من ارتكب الخطأ. كان يتم التحدث إلى الجميع دون تحديد، إلا للطالب الذي ارتكب الخطأ." (ذكر فراهي ٣٩٤-٣٩٥)

أهداف التعليم الفريدة

على الرغم من أننا لا نريد التوسع في عرض المناهج التعليمية للمدرسة التي تستمر لمدة ثمانية أعوام، إلا أنه من المهم الإشارة إلى ميزة فريدة تتميز بها مدرسة الإصلاح. كانت هذه المدرسة هي الأولى والوحيدة في عصرها التي كانت تُدرس القرآن الكريم كاملاً، من سورة الفاتحة إلى سورة الناس، دون إدخال أي تفسير. حتى تفسير المولانا الفراهي "نظام القرآن" لم يكن جزءًا من المنهج الدراسي.

تؤكد الكتابات والمستندات من المولانا أمين أحسن الإصلاحي، والمولانا بدر الدين الإصلاحي، والدكتور شرف الدين الإصلاحي أن هذا كان من الأسس المعتمدة في المدرسة.

تأثيرات شخصية

هنا لا بد لي من التعبير عن بعض التأثيرات الشخصية التي شعرت بها. عندما تأسست "المورد" في عام ١٩٨٣، كان المناهج والأغراض والمقاصد التي تقف وراء تأسيس "المورد" (عام ١٩٨٣) وكانت في ذهن الأستاذ المحترم، جاويد أحمد غامدي هي التي كانت تقف وراء تأسيس مدرسة الإصلاح. كما كان منهجها ونظام التعليم مشابهًا إلى حد كبير لما كان في مدرسة الإصلاح.

إذا تحدثنا عن المنهج، فقد تم تعليمنا دروسًا في النحو، "كليلة ودمنة"، "قراءة الرشيدة"، "المفصل" للزمخشري، "المعلقات السبع"، وغيرها. من بين أهداف "المورد" هو العمل الأكاديمي والبحثي مع وضع القرآن الكريم في مركزه، وتدريب العلماء والمحققين الصحيحين في الفكر.

وفي ذهني، ما زال يخطر ذلك الخطاب الرئاسي الذي ألقاه المولانا أمين أحسن الإصلاحي في قاعة جناح في لاهور، والذي حضره عدد كبير من العلماء والمفكرين. كان المولانا الإصلاحي يتحدث بعد سنوات طويلة من غيابه عن المنصات العامة. (سوف يتم ذكر التفاصيل في مكانها لاحقًا). وكان ذلك في عام ١٩٨٣. كنت

حينها طالبًا مبتدئًا، وكنت أشهد كتابة التاريخ. عندما وصلت إلى مجلدات مجلة "الإصلاح" التابعة لمدرسة الإصلاح، تبيّن لي أن "المورد" كان في الواقع إعادة تأسيس لمدرسة الإصلاح. وكان هذا نفس القافلة التي بدأها شبلي، وهي نفس القصة التي ذكرها الأستاذ المحترم في كتابه "مقامات" في المقالة "قافلة بعد قافلة."

ماذا كان يريد أن يصبح أمين أحسن؟

من خلال هذه التفاصيل، أصبح من الواضح ما كان يقصده المولانا الإصلاحي عندما تحدث عن كيفية تحرير المولانا الفراهي للمدرسة من الفكر التقليدي وإعادتها إلى مسارها الصحيح. لكن على الرغم من كل هذه الإصلاحات المميزة في المدرسة، كان هناك شيء واحد واضح، وهو أن الطلاب كانوا يأتون إلى هنا بعد أن قرر آباؤهم مستقبلهم. لم يكن هناك وعي كافٍ في ذلك الوقت بخصوص تعليم الأطفال بحيث يقرر الآباء مستقبل أبنائهم بناءً على مواهبهم وميولهم الطبيعية. ومع ذلك، بالنسبة لأمين أحسن، كان هذا الأمر حاسمًا: ما أراد أن يصبحه، فقد دفعته الطبيعة إلى الوصول إليه.

كان يقول:

> "عندما كنت في السنة الثالثة من دراستي في المدرسة، دعا المولانا عبد الرحمن النجرامي الطلاب الأذكياء وسألهم: ماذا تريدون أن تصبحوا؟ فأجاب بعضهم شيئًا، وأجاب آخرون شيئًا مختلفًا. وعندما سألني، قلت له: أريد أن أصبح أديب الهند. ففرح كثيرًا بهذا الجواب. هل تعرفون من كان يقصد بأديب الهند؟ كان يقصد المولوي فيض الحسن. وبعد ذلك بدأ مولانا النجرامي يناديني بأديب الهند".

الشيخ فيض الحسن السهارنبوري

إذا كان أمين أحسن قد اعتبر المولانا فيض الحسن سهارنبوري (١٨١٦-١٨٨٧) قدوته، فمن المهم أن نعرف ما الذي كان مميزًا في شخصيته. عندما سألنا المولانا عن هذا، أجابنا بجملة واحدة:

> "عندما كان يقال أديب الهند، كان المقصود فقط شخص واحد: مولوي فيض الحسن سهارنبوري. وكان شيخَ أساتذة عظماء لدرجة أن شبلي والفراهي كلاهما اختارا أن يكونامن تلامذته، ويجب أن تعرفوا كيف فعلا ذلك"!

هذا الوصف يتطلب بعض التفصيل. كان فيض الحسن شخصية متعددة الجوانب. كان مصارعًا قويًا، وفارسًا ماهرًا، وطبيبًا، وشاعرًا، وأستاذًا، وأديبًا. في البداية، كان ميالة إلى الفروسية، وكان لديه أيضًا شغف بالطيران بالطيور. ثم نشأت لديه محبة للعلم، فبرع في اللغة العربية والفارسية، وتعلم في مدارس ومعاهد مختلفة في رامبور، دلهي، ولكهنؤ. في عام ١٨٤٨، وعندما كان عمره ثلاثين عامًا، قام بتعليم أجزاء من "مقامات حريري" لسيد أحمد خان. استفاد في الشعر من المولوي إمام بخش الصهبائي. كما اجتمع مع شعراء كبار مثل شيفتة، غالب، مومن، وذوق، وتعلم الطب على يد الحكيم إمام الدين.

خلال ذلك الوقت، وعندما اندلعت ثورة ١٨٥٧، عاد إلى مسقط رأسه في سهارنبور مع قافلة من الناس الذين كانوا يعتمدون عليه في قوته. كان قويًا جدًا لدرجة أنه كان يكسر السلاسل الحديدية بيديه. كان يشهر سيفه بمهارة لدرجة أن خصومه كانوا يشعرون بالرعب قبل أن يخرج سيفه من غمده. فتح عيادة طبية في سهارنبور، لكنه لم يكن راضيًا وانتقل إلى علي كره حيث عمل كأستاذ للغة العربية. قام أيضًا بترجمة بعض الكتب، لكن لم يكن قد وصل إلى وجهته بعد. كان الأطباء الإنجليز مثل الدكتور لا يتنز معجبين بمهارته فدعوه إلى لاهور. في أكتوبر ١٨٧٠، عين أستاذًا للغة العربية في الكلية الشرقية في لاهور، وفي وقت لاحق أصبح رئيسًا للمدرسة.

أهم نقطة

هنا يجب أن نتذكر حقيقة أخرى. في سن الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة، اختار أمين أحسن المولانا فيض الحسن سهارنبوري قدوة له، وكان يعلم أنه شخصية علمية بحتة. بالنسبة له، لم يكن هناك شخص آخر من مجالات السياسة أو الجيش أو الفنون الجميلة يستحق أن يكون قدوته. ثم أن حياة فيض الحسن تُظهر لنا أنه لم يكن له علاقة بالحكومة الإنجليزية أو نزاعات الهندوس والمسلمين. بالرغم من أن أساتذته كانوا من عائلة ناضلت ضد الإنجليز في حرب الاستقلال، كان فيض الحسن يرى أنه لا يوجد خطر على الإسلام من الحكومة البريطانية. وكان يعتقد أن الكلية الشرقية، التي كانت تحت حكم الإنجليز، لا تؤثر على إيمانه وإخلاصه.

أفضل أستاذ

لم يؤثر على أمين أحسن في المدرسة أحد كما أثر عليه مولانا عبد الرحمن النجرامي. وكان يقول عن أستاذه المفضل:

"كان مولانا شبلي النعماني يبحث عن مدرسين ممتازين. كان يحتاج إلى أستاذ متميز في مهاراته، لكن مع محدودية الموارد يقتنع أن يعيش حياة متواضعة، ووجد أخيرًا مولانا عبد الرحمن النجرامي. كان النجرامي شابًا وسيمًا من خريجي ندوة العلماء. وعندما جاء إلى المدرسة، أحدث ضجة كبيرة. كان فعلاً رجلًا عبقريًا. كان عالمًا، خطيبًا، أديبًا، شاعرًا، مفكرًا، وفيلسوفًا. أطلق الطلاب عليه لقب "ماهرفي كل شئي"(هرفن مولا)

"أنا الذي كنت قد يئست من المدرسة لأنني كنت أعتقد أنني لن أحقق شيئًا من خلال حفظ القواعد أو التأويلات غير المنطقية، لكن قدومه أضفى جوًا جديدًا، فبدأت أرى أنه يمكن تعلم الدين والعيش بكرامة. يمكن فهم العلوم بدلاً من حفظها. و يمكن خدمة الأمة، وكان المولانا النغرامي خطيبًا باللغات الثلاث، الأوردو والعربية والفارسية".

"أود أن أروي لكم نكتة عنه؛ كانت هذه الحكاية في ذلك العصر الذي لم أكن قد دخلت فيه المدرسة بعد، وكانت هذه الحكاية عن المولانا النغرامي مشهورة في تلك الفترة. حدثت مناظرة، ولم تكن هذه المناظرة بين طلاب مدرسة الإصلاح، بل كانت جلسة في مكان آخر حيث تم تنظيم المناظرة. كانت الشرط أن الخطابة ستكون باللغة الأوردية، وليس فقط، بل أيضًا باللغة العربية والفارسية. حضر المولانا النغرامي في هذه الجلسة، وقال: 'أريد أن ألقي خطابًا أيضًا'. فسمح له رئيس الجلسة. بدأ يتحدث باللغة الأوردية، ثم الفارسية، ثم العربية، ثم بدأ بالإنجليزية. وكان مولانا شبلي أيضًا جالسًا في تلك الجلسة، فقال: 'يا سيد الرئيس، يجب أن نوقف المولوي عبدالرحمن عن الخطابة، وإلا فإنه سيبدأ بالخطاب باللغة الفرنسية، ونحن لا نفهمها'.'

"كان لديه نظرة خاصة عليّ. في أحد الأيام قلت له إني ضعيف في النحو. في البداية، لم يصدق أنه يمكن أن يكون هناك شيء خاطئ في لغتي. وبعد محادثة قصيرة، أراحني وأخذ يتفكر في كيفية مساعدتي. في يوم من الأيام، جاء

لي بكتاب. كان هذا الكتاب باللغة الفارسية، ولا أذكر اسمه. كان يحتوي على حلول لجميع مسائل النحو العربي. طلب مني أن أقرأ الكتاب جيدًا. فعملت على قراءته بجدية. وقد حل جميع مشكلاتي. أعاد لي الثقة بنفسي. الآن كنت قادرًا على التنافس مع أكبر علماء النحو، بل يمكنني أن أجعلهم يتعجبون. وعرف الجميع أن تلك النقص الذي كانوا يذكرونه عني، والذي كانوا يفرضون به هيبتهم عليّ، قد زال. الآن، تحت إشراف المولانا النغرامي، أصبحت "علّامة". أصبحني طالبًا جيدًا بالفعل."

(للحديث صلة)

إلى رحمة الله تعالى

دكتور محمد غطريف شهباز الندوي[1]

البروفيسور خورشيد أحمد: أحد أعلام الفكر الإسلامي في القرن العشرين في ذمة الله

[الميلاد: ٢٣ مارس ١٩٣٢م – الوفاة: ١٣ أبريل ٢٠٢٥م]

في الثالث عشر من أبريل، توفي البروفيسور خورشيد أحمد، أحد أبرز قادة الجماعة الإسلامية في باكستان، وأديب ومفكر ومؤلف بارز، وخليفة فكري لمؤسس الجماعة الإسلامية، الشيخ سيد أبو الأعلى المودودي، في مدينة ليستر (المملكة المتحدة) عن عمر يناهز ٩٣ عامًا، رحمه الله. إنا لله وإنا إليه راجعون.

رغم معاناته الطويلة مع المرض، ظل قلمه يعمل بين الحين والآخر، فكان رجلًا من طراز فريد في عصره. حظي بشرف صحبة الشيخ المودودي وكان من أقرب مساعديه لفترة طويلة. وقد كان له شرف إعادة تحرير وتنقيح العديد من مؤلفاته المبكرة، من أبرزها كتابه الشهير "المسلمون والصراع السياسي" قبل تقسيم الهند، الذي أعاد تسميته إلى "حركة تحرير الهند والمسلمون"، وكتب له مقدمة متميزة. كما نشر أعمالًا أخرى له في السياسة تحت عنوان "الدولة الإسلامية"، وتعدّ كتابته حول تاريخ الجماعة "الحركة الإسلامية: تاريخ وقصة" المرجع الرئيس في هذا المجال.

---

[1] باحث مشارك في المركز لتعزيز التعليم والثقافة لمسلمي الهند جامعة عليكرة الإسلامية عليكرة.

ولد البروفيسور خورشيد أحمد في دلهي يوم ٢٣ مارس ١٩٣٢م، وتلقى تعليمه الابتدائي في المدرسة الابتدائية في حي قرول باغ حيث كانت أسرته تقيم، وأكمل دراسته في المرحلة المتوسطة هناك. بعد ذلك، التحق بمدرسة أنجلو-عربية في أجميري غيت، ثم انتقل إلى كلية الدكتور ذاكر حسين العريقة في دلهي.

بعد تأسيس باكستان، انتقل مع أسرته إليها، وأقام لفترة قصيرة في لاهور، حيث درس الاقتصاد وإدارة الأعمال في كلية الحكومة الإسلامية، ثم انتقل إلى كراتشي حيث حصل عام ١٩٥٠م على درجة البكالوريوس من جامعة السند. تلا ذلك حصوله على درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية، ثم نال درجة عليا في الاقتصاد عام ١٩٥٤م من جامعة كراتشي. في عام ١٩٥٨م، تم تعيينه محاضرًا في نفس الجامعة، فجمع بذلك بين العلوم القانونية، الاقتصادية، والإسلامية، ويذكر أنه حصل أيضًا على شهادة في القانون وكتب بإسهاب في المجالات الثلاثة.

بدأ نشاطه الدعوي من خلال انضمامه إلى جمعية الطلبة الإسلامية، الذراع الطلابي للجماعة الإسلامية، وتولى رئاستها، وأسهم بشكل كبير في جعلها قوة إسلامية منظمة بين طلاب البلاد في الجامعات والكليات. انضم رسميًا للجماعة الإسلامية عام ١٩٥٦م، وظل عضوًا نشطًا حتى وفاته، حيث شغل منصب نائب الأمير لفترات طويلة.

خلال دراسته، بدأ بكتابة وتأليف الأدبيات الإسلامية تحت إشراف الشيخ المودودي، كما شغل مناصب تحريرية في عدة مجلات مثل "صوت الطلبة" الإنجليزية، و"إقبال ريويو"، و"صوت الإسلام".

وقد ذاق مرارة السجن في عهد الرئيس أيوب خان عام ١٩٦٤م، عندما حظرت الحكومة الجماعة واعتقلت قادتها، بمن فيهم الشيخ المودودي وقيادات الشورى، وكان خورشيد أحمد من بين المعتقلين. وقد دوّن تجربته في السجن في كتاب أدبي تحت عنوان "تذكره زندان" (ذكريات السجن).

كان قلمه خصبًا ومبدعًا، وكتب عن شخصيات كبرى، والسياسة والاقتصاد العالمي، والسياسة الداخلية الباكستانية، وتطورات الحركات الإسلامية. كان مخلصًا لفكر الشيخ المودودي، وأكبر شارحه ومفسره، وبعد أن اقتنع بصحة فكر الشيخ المودودي، توجه إلى موضوعات أخرى بالتأمل والبحث.

في عام ١٩٩٠م، نال جائزة الملك فيصل، أرفع الجوائز في العالم الإسلامي، بالاشتراك مع الشيخ علي الطنطاوي من سوريا، وكان ثاني شخصية باكستانية بعد المودودي ينال هذه الجائزة. كما منحته حكومة باكستان وسام "نشان الامتياز" المدني عام ٢٠١٠م تقديرًا لجهوده.

تم تعيينه وزيرًا اتحاديًا للتخطيط والتنمية في عهد الرئيس ضياء الحق عندما دخلت الجماعة الإسلامية في الحكومة، وانتخب عضوًا في مجلس الشيوخ لعدة دورات بين ١٩٨٥م و ٢٠٠٢م. قاد لجنة التخطيط والشؤون الاقتصادية، واختير عدة مرات كأفضل برلماني.

نهل من منابع الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي والشيخ أمين أحسن الإصلاحي العلمية، وظل يذكر الأخير كمربي ومحسن حتى بعد خروجه من الجماعة، وكتب عنه بمودة في عددين من مجلة "ترجمان القرآن" في مارس وأبريل ١٩٨٨م على إثروفاته. ورغم أن الشيخ الإصلاحي انتقد فكر المودودي والفكر الإسلامي السائد بعد مغادرته الجماعة، إلا أن خورشيد أحمد قال تعليقًا على تلك النقدات: "انتقاداته عقلي يقبلها، لكن قلبي لا يطمئن لها."

كان متميزًا في الكتابة عن الشخصيات، فقد كتب مقالة قوية عن وفاة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي، نشرت في عدد خاص من مجلة "تعمير حيات" الندوية. وكان يقول: "إن الشيخ المودودي يخاطب العقل أولاً فيسكن القلب ثانياً، أما الشيخ علي ميان الندوي (الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي) فإنه يبدأ بالقلب فيؤثر في العقل أيضاً."

كانت له علاقات وثيقة علمية وعاطفية مع الدكتور محمد حميد الله، وقد كتب عنه تأبينًا رائعًا شملته في كتابي المتواضع عن الدكتور المرحوم بعنوان "الدكتور محمد حميد الله مجدد علوم السيرة."

ألف خورشيد أحمد نحو سبعين كتابًا بالعربية والإنجليزية، وكان يترجم كتب المودودي إلى الإنجليزية بأسلوب أنيق. وكان له دور كبير في تقديم فكر الجماعة والمودودي إلى الغرب، وهو أول من كتب عن "أدبيات المودودي"، واعتبره رائد مدرسة نثرية خاصة في الأدب الأردي.

شغل منصب مدير مجلة "چراغ راه" في كراتشي، ثم "الترجمان العالمي للقرآن".

وكانت مقالاته تقرأ بشغف. وبعد أحداث ١١ سبتمبر، كتب كتابًا شهيرًا حول دور أمريكا في العالم بعنوان: "أمريكا: اضطراب العالم الإسلامي قبل وبعد ١١ سبتمبر." امتازت كتاباته بالسلاسة والعمق والتحليل. قال عنه تلميذه عارف الحق عارف: "رغم مرضه الطويل، بقي ذهنه حاضرًا، وكان يدوّن إشارات مجلة ترجمان القرآن بدقة وتوثيق، كما كان يفعل في السابق."

درّس في عدة جامعات منها جامعة كراتشي، والجامعة الإسلامية العالمية في إسلام آباد، حيث ترأس المعهد الدولي للاقتصاد، وكذلك جامعة الملك عبد العزيز بجدة، حيث شغل منصب نائب الرئيس. ويقال إن المفتي محمد تقي عثماني درس الاقتصاد على يديه.

وكان من بين المقربين الستة الشيخ للمودودي، وهم:

١. نعيم صديقي – شاعر وخطيب وأديب، ترك الجماعة لاحقًا بسبب خلاف نشأ بينه وبين أمير الجماعة القاضي حسين أحمد وأسس حركة "إحياء فكر المودودي."

٢. خرّم مراد جاه – ومن خصوصياته أنه نهل من فكر الشيخ المودودي ومواعظ العالم الكبير والصوفي الجليل الشيخ أشرف علي التهانوي، كبير علماء ديوبند.

٣. عبد الحميد صديقي – كتب إشارات "ترجمان القرآن" في حياة الشيخ المودودي.

٤. ظفر إسحاق الأنصاري – ترجم "تفهيم القرآن" إلى الإنجليزية، وكان رئيس معهد البحوث الإسلامية في ٢٠١١م، وقابلته حين سافرت إلى باكستان في ذلك العام للمشاركة في ندوة دولية عقدها المعهد حول السيرة النبوية. فوجدته متسمًا بسمات خلقية نبيلة وشخصية جميلة متواضعة.

٥. الدكتور إسرار أحمد – خطيب ومفكر، ترك الجماعة الإسلامية وأسس جماعة دينية تعرف بـــ "تنظيم إسلامي".

٦. البروفيسور خورشيد أحمد – المقرب جدًا من الشيخ المودودي، وموضع ثقته ومحط حبه.

وقد أسس خورشيد أحمد معهد الدراسات السياسية في إسلام آباد، الذي يعد

من أهم مراكز الفكر في باكستان، وكذلك أسس "المؤسسة الإسلامية" في المملكة المتحدة، التي أصبحت مركزًا دعويًا وبحثيًا وتعليميًا، وأسّس أول معهد غربي لتدريس الاقتصاد والتمويل الإسلامي في ماركفيلد. هذه المؤسسات تمثل إرثه الأعظم وصدقة جارية له.

أخبرني أحد الأصدقاء المقيمين في تركيا أن باحثًا تركيًا كتب أطروحة دكتوراه عن خورشيد أحمد، وهناك رسائل دكتوراه أُعدت عنه في ماليزيا، تركيا، وألمانيا. وقد منحته جامعة ليستر البريطانية عام ١٩٧٠م شهادة تقدير، وجامعة ملايا عام ١٩٨٢م، والجامعة الوطنية الماليزية عام ٢٠٠٦م درجة الدكتوراه الفخرية في الاقتصاد الإسلامي.

كان المفكر والباحث الدكتور محمود أحمد غازي يمتدحه ويسميه "المجاهد" لشدة اجتهاده، وكان لا ينام إلا قليلاً ثم يعود للعمل مباشرة.

انتقل إلى المملكة المتحدة عام ١٩٧٠م، وأقام في ليستر، وانضم إلى قسم الفلسفة بجامعة ليستر، ودرّس الفلسفة المعاصرة. يروى أن أحدهم سأل المودودي بعد إعلانه اعتزال القيادة: "ألم تعدّ أحدًا لخلافتك؟" فأجاب مازحًا: "أعددتُ اثنين، أحدهما ذهب إلى الله، والآخر ذهب إلى لندن!" (يقصد بالأول خرم مراد وبالثاني خورشيد أحمد).

كان أوسط إخوته الثلاثة، فالأكبر هو الأميرال ضمير أحمد، والأصغر الدكتور أنيس أحمد، رئيس جامعة الرفاه في إسلام آباد. له ثلاثة أبناء وثلاث بنات. وقد نعاه رئيس وزراء باكستان شهباز شريف، ورئيس وزراء ماليزيا أنور إبراهيم، وزعيم أفغاني فضل الهادي وزين.

وأرى أن المفكرين الأصيلين بعد الشيخ المودودي في الجماعة هما: البروفيسور نجات الله الصديقي، والبروفيسور خورشيد أحمد، وارتحل كل منهما إلى الدار الآخرة.

رحيل البروفيسور خورشيد أحمد ليس مجرد رحيل رجل، بل خسارة لأمة. ويصدق عليه قول الشاعر العربي:

وما كان قيس هلكه هلك واحد

و لكنه بنيان قوم تهدما

أي أن موته ليس موت شخص بل تهدم لبناء أمة. فقد تجاوز خيره حدود الجماعة إلى المجتمع والأمة والعصر بأسره. وقال الشاعر العلامة محمد إقبال:

ہزاروں سال نرگس اپنی بے نوری پہ روتی ہے
بڑی مشکل سے ہوتا ہے چمن میں دیدہ ور پیدا

(تستمر النرجس في البكاء لآلاف السنين على فقدان بصيرتها، ومن النادر أن يظهر في الحديقة شخص يمتلك الرؤية والفهم العميق).

نسأل الله أن يعوّض الأمة بخير عنه. آمين.

الشعر والأدب

الشاعر: العلّامة الدكتور محمد إقبال

صاغه شعرًا بالعربية: الشيخ صاوي علي شعلان المصري (١٩٠٢–١٩٨٢م)

النشيد الإسلامي

[مأخوذ من النشيد الأردي الشهير "ترانه مِلّي"
ضمن ديوان إقبال "بانك درا"(صلصلة الجرس)]

الصين لنا و العرب لنا — و الهند لنا و الكل لنا
أضحى الإسلام لنا دينا — و جميع الكون لنا وطنا
توحيد الله لنا نور — أعددنا الروح له سكنا
الكون يزول و لا تمحى — في الدهر صحائف سؤددنا
بنيت في الأرض معابدها — و البيت الأول كعبتنا
هو أول بيت نحفظه — بحياة الروح و يحفظنا
في ظل السيف تربينا — و بنينا العز لدولتنا
علم الإسلام على الأيام — شعار المجد لملتنا
بالهلال النصر يضيء لنا — ويمثل خنجر سطوتنا
و أذان المسلم كان له — في الغرب صدى من همتنا
قولوا لسماء الكون لقد — طاولنا النجم برفعتنا
يا دهر لقد جربت على — نيران الشدة عزمتنا
طوفان الباطل لم يغرق — في الخوف سفينة قوتنا
يا ظل حدائق أندلس — أنسيت مغاني عشرتنا

و على أغصانك أوكار عمرت بطلائع نشأتنا
يا دجلة هل سجلت على شطيك مآثر عزتنا
أمواجك تروي للدنيا و تعيد جواهر سيرتنا
يا أرض النور من الحرمين و يا ميلاد شريعتنا
روض الإسلام و دوحته في أرضك رواها دمنا
و محمد كان أمير الركب يقود الفوز لنصرتنا
إن اسم محمد الهادي روح الآمال لنهضتنا
دوت أنشودة إقبال جرسا يحدو فيه الزمنا
ليعيد قوافلنا الأولى في المجد و يبعث أمتنا

الأحداث

شا هد محمود

نقله إلى العربية: د. محمد غطريف شهباز الندوي

نشرة أخبار "المورد" أمريكا

(يونيو ٢٠٢٥م)

١- حفل إطلاق ثمانية كتب في مركز غامدي

في شهر مايو من عام ٢٠٢٥م، نظّم مركز غامدي في مدينة دالاس، الولايات المتحدة الأمريكية، حفلًا بمناسبة إطلاق ثمانية كتب جديدة صادرة عن المركز. وقد حضر الحفل المؤلف الأستاذ السيد منظور الحسن شخصيًا، فيما شارك كل من الدكتور عرفان شهزاد الكاتب والممثل المعروف حمزة علي العباسي عبر الإنترنت، حيث عبّروا عن انطباعاتهم وآرائهم حول هذه الإصدارات.

الكتب التي تم تدشينها خلال الحفل:

١. كتابان للأستاذ منظور الحسن، مدير تحرير مجلة "الإشراق – أمريكا":

الحلال والحرام – موقف جاويد أحمد غامدي

الغناء والموسيقى – موقف جاويد أحمد غامدي

٢. كتاب للدكتور عرفان شهزاد بعنوان:

حجاب المرأة – موقف جاويد أحمد غامدي

٣. كتاب حمزة علي العباسي بعنوان:

اكتشافي: في البحث عن الله والإسلام والآخرة

(وهو ترجمة لكتابه الإنجليزي الموسوم بـ
"My Discovery of God, Islam, and Judgment Day")

٤. ترجمات إنجليزية لأربعة كتب أخرى من تأليف الأستاذ منظور الحسن:

The Descent of Jesus

Night Journey and Ascension

The Splitting of the Moon

Thoughts of Ghamidi

تجدر الإشارة إلى أن هذه الكتب متوفرة حاليًا في جميع فروع "المورد" المنتشرة حول العالم.

٢- الدين وتحديات العصر الحديث

أجرى الأستاذ جاويد أحمد غامدي مقابلة مع المتحدث التحفيزي الشهير ومقدّم البودكاست الحافظ أحمد، حيث ناقش خلالها أبرز التحديات التي تواجه الدين في العصر الحديث. كما أجاب على مجموعة من الأسئلة المتعلقة بموضوعات الحديث، والجهاد، والربا.

تعرض هذه المقابلة على قناة مركز غامدي على منصة يوتيوب.

٣- صوت البحث العلمي

نظّم مركز غامدي في مايو ٢٠٢٥م ندوتين ضمن سلسلة "صوت البحث"، حملتا العنوانين الآتيين:

١. "أزمة العالم الإسلامي والحلول" – قدّمها الدكتور غطريف شهباز ندوي، حيث ركّز حديثه على الوضع في غزة وتحليل أبعاده السياسية والإنسانية.

٢. "أهمية القلب البشري" – قدّمتها الدكتورة سحر حفيظ، حيث ناقشت دور القلب من منظور القرآن الكريم والعلوم الطبية الحديثة.

تعقد هذه الندوات عبر تطبيق Zoom، مع إتاحة المجال للمشاركين لطرح الأسئلة بشكل مباشر.

٤- الإسلام والدولة – مراجعة الاعتراضات

ناقشت الجلسات الشهرية المرئية التي يعقدها مركز غامدي الاعتراضات المطروحة حول مفهوم الإسلام والدولة.

وقدّم الأستاذ جاويد أحمد غامدي تفسيرًا لغويًا واصطلاحيًا لمفهوم "إقامة الدين"، كما وجّه نقدًا علميًا لرؤية الشيخ السيد أبو الأعلى المودودي في هذا السياق.

٥- الذكاء الاصطناعي في التأليف والبحث

كتب الأستاذ منظور الحسن مقالًا في عدد مايو ٢٠٢٥م من مجلة "إشراق أمريكا" حول استخدام أدوات الذكاء الاصطناعي مثل ChatGPT في مجالات التأليف والبحث.

أشار في مقاله إلى أنّ هذه الأدوات مقبولة للاستعمال من قِبل المؤلفين المحترفين بوصفها أدوات للمساعدة في البحث والتحرير، مع التشديد على ضرورة الاعتراف باستخدامها.

أما بالنسبة للكتاب المبتدئين، فقد نصح بعدم الاعتماد عليها، حفاظًا على تطوير قدراتهم اللغوية والإبداعية الذاتية.

وقد أوضح في هذا السياق سياسة النشر المعتمدة لدى مركز غامدي بناءً على هذا الرأي.

٦- دروس القرآن والحديث الأسبوعية

في شهر مايو ٢٠٢٥م، واصل الأستاذ جاويد أحمد غامدي دروسه الأسبوعية في تفسير القرآن الكريم وشرح الحديث الشريف، حيث:

تناول تفسير الآيات ٨٦ إلى ١٢٨ من سورة طه.

وشرح روايات تتعلق بـما يناقض الإيمان والإسلام ضمن دروس الحديث.

تعرض هذه الدروس تباعًا على قناة مركز غامدي على منصة يوتيوب.

٧- بودكاست: "بصائر من الحياة"

شارك الأستاذ حسن إلياس في بودكاست بعنوان "بصائر من الحياة"، تحدّث فيه عن مجموعة من الأسئلة الفكرية والشخصية التي مرّ بها في مسيرته، كما ذكر أن الشيخ طارق جميل كان من أبرز الشخصيات التي أثّرت في توجّهه الديني.

يعرض هذا اللقاء على قناة المركز على يوتيوب.

٨- جلسة: اسأل غامدي

في جلسة مايو ٢٠٢٥م من سلسلة "اسأل غامدي"، أجاب الأستاذ غامدي عن

مجموعة من الأسئلة الفكرية والدينية، أبرزها:

١. ما هي حقيقة الله؟

٢. هل اعتبار الحجر الأسود "يد الله" يعد من الشِّرك؟

٣. هل إنجيل برنابا من تأليف المسلمين؟

٤. ما هو موقف الإسلام من النسوية؟

تتوفر تسجيلات هذه الجلسات على قناة مركز غامدي على يوتيوب.

٩- جلسة مع "المورد" – أستراليا

شارك الأستاذ حسن إلياس في جلسة أسئلة وأجوبة نظّمتها مؤسسة "المورد – أستراليا"، وتناول النقاش جملة من القضايا الفكرية والاجتماعية، من أبرزها:

١. ما هو التصوّر الإسلامي للتعامل مع غير المسلمين؟

٢. ما هي الإصلاحات المطلوبة في خطب الجمعة؟

٣. هل الصلاة مصدرها الحديث النبوي؟

١٠- مدرسة الأحد

تبدأ تسجيلات العام الدراسي الجديد في "مدرسة الأحد" خلال شهر يوليو ٢٠٢٥م. تُعنى هذه المدرسة بتعليم القيم الإسلامية للطلاب على ضوء القرآن والسنة، ويشرف عليها طلاب جامعيون مرتبطون بفكر الأستاذ جاويد أحمد غامدي.

يدير المدرسة كل من الأستاذ فرحان السيد والأستاذ عاطف ساجد.

١١- هل الظلم يوجب الجهاد؟

نشر الأستاذ حسن إلياس مقالًا في عدد مايو ٢٠٢٥م من مجلة "إشراق"، بيّن فيه أن الظلم يعدّ أحد الأسباب الأساسية لمشروعية الجهاد، إلا أن إعلان الجهاد لا يصدر بفتوى فردية، بل يتطلّب قيادة جماعية شرعية. وأوضح أن مخالفة هذا المبدأ تؤدّي إلى الفساد والفوضى بدل الإصلاح.

١٢- إتمام الحجة – مدبلجًا بالإنجليزية

بدأ مركز غامدي باستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي في دبلجة الفيديوهات إلى اللغة الإنجليزية.

وفي شهر مايو ٢٠٢٥م، نُشر على قناة المركز على يوتيوب الفيديو المدبلج حول موضوع "إتمام الحجة"، ضمن سلسلة "٢٣ اعتراضًا على رؤية غامدي".

١٣- سلسلة "تفهيم الآثار"

شهدت سلسلة "تفهيم الآثار" في مايو ٢٠٢٥م مناقشة موضوعات فكرية وتاريخية متعددة، أبرزها:

١. القتال ضد الخوارج

٢. مملكة بني إسماعيل

٣. اجعل القرآن دليلك

٤. تأديب الأطفال على القراءة الخاطئة للقرآن

٥. موقف الإسلام من الإمبراطوريتين الرومانية والفارسية

١٤- اسأل حسن إلياس – برنامج جديد

أطلق على قناة "Muslim Today – المسلم المعاصر" برنامجًا جديدًا بعنوان "اسأل حسن إلياس"، يجيب فيه الأستاذ حسن إلياس على تساؤلات فكرية، منها:

١. هل الجن موجودون حقًا؟

٢. ما هو أساس موقف غامدي من الحديث؟

٣. هل عمر نوح عليه السلام ٩٥٠ عامًا منطقي علميًا؟

٤. كيف نردّ على من يطعن في الصحابة عبر بعض الروايات؟

١٥- الزاوية الإلكترونية

يقدّم الأستاذ معز أمجد جلسة أسبوعية بعنوان "الخانقاه الإلكترونية"، تُعنى بتهذيب النفس وتزكيتها من منظور قرآني وفلسفي.

تناولت الجلسات الأخيرة الموضوعات التالية:

١. حدود قطع العلاقات

٢. معنى العفو

٣. الفرق بين الأنا والذات

٤. ماذا يريد الخالق من الإنسان؟

١٦- حلقة دراسة الإسلام – باللغة الإنجليزية

يقدّم الدكتور شهزاد سليم جلسة شهرية باللغة الإنجليزية بعنوان "حلقة دراسة الإسلام"، تناقش قضايا دينية وأخلاقية في ضوء القرآن والحديث والكتاب المقدس.

وقد شملت الجلسة الأخيرة المواضيع التالية:

١. عند وقوع حادث مفاجئ

٢. مفهوم الطهارة

٣. "العين سراج الجسد"

١٧- نشاطات الإصلاحي أثناء السجن

تناول مقال "حياة أمين" في عدد مايو ٢٠٢٥م جانبًا من سيرة الأستاذ الإمام أمين إحسن الإصلاحي خلال فترة سجنه، حيث واصل التدريس، والتأليف، ومراسلة أهله برسائل مطمئنة.

وقد أظهرت هذه المرحلة ثباته الفكري وصبره التربوي في ظل ظروف قاسية.

١٨- مبادئ تدبر السنة والحديث

سجّل الدكتور شهزاد سليم محاضرات باللغة الإنجليزية ضمن سلسلة "الميزان"، تحت عنوان:

مبادئ تدبر السنة

مبادئ تدبر الحديث

تتناول هذه المحاضرات منهجية فهم النصوص النبوية في سياقها اللغوي والشرعي، وهي متوفرة على قناة مركز غامدي على يوتيوب.

١٩- "العلم والحكمة: مع غامدي" على دنيا نيوز

في البرنامج الأسبوعي الذي يعرض على قناة دنيا نيوز، ناقش الأستاذ جاويد أحمد غامدي موضوعات فكرية مهمة، من أبرزها:

أ- الصراع بين القيادة الدينية والسياسية

ب- القرآن والعلم

ج- التزكية بدون التصوف

كما أجاب عن أسئلة عميقة من الجمهور، منها:

١. كيف نتغلّب على الكسل في الالتزام الديني؟

٢. ما هو أساس الاستدلال في القرآن والعلم؟

٣. هل هناك تعارض بين الدين والعلم؟

٤. ما سبب الصراع بين القيادات الدينية والسياسية؟

٢٠- جلسات استشارية خاصة

عقد الدكتور شهزاد سليم أكثر من ٢٥ جلسة استشارية خاصة خلال شهر مايو ٢٠٢٥م، تناولت قضايا شخصية وعائلية، لا سيما المتعلقة بـمشكلات المراهقين، حيث قُدّمت خلالها توجيهات مبنية على الفهم المتوازن للدين والواقع الاجتماعي.

٢١- هل الحور مخلوق مختلف؟

نفى الأستاذ حسن إلياس التصوّر التقليدي الشائع حول الحور العين، وبيّن أنهن لسن مخلوقات غيبية منفصلة، بل هنّ نساء صالحات من أهل الجنة، يعاد خلقهنّ بنقاء وصفاء جديد، كما ورد في سياق الوعد القرآني لأهل الإيمان.

وقد جاء هذا الطرح في إطار تفسير رمزي وروحي ينأى عن التجالسيد المادي الشائع في بعض التفاسير.

٢٢- ملخص إنجليزي لسلسلة "٢٣ اعتراضًا"

قدّم الدكتور شهزاد سليم ملخصًا باللغة الإنجليزية للاعتراض رقم ٢٣ ضمن سلسلة فيديوهات مركز غامدي على يوتيوب، وكان موضوع الحلقة:

٢٣- "عقوبة الإعدام – هل هي من الإسلام؟"

وتضمّن الشرح طرحًا تحليليًا وحقوقيًا لموقف الإسلام من هذه العقوبة في سياق إتمام الحجة.

٢٤- اسأل الدكتور شهزاد سليم

يعقد الدكتور شهزاد سليم جلسة شهرية مباشرة بعنوان "اسأل الدكتور شهزاد"، يجيب فيها على أسئلة الجمهور الدينية والاجتماعية باللغتين الإنجليزية والأردية، وتُعرض هذه الجلسات على قناة المركز على يوتيوب.

وتهدف الجلسات إلى ترسيخ الوعي الديني المتزن والتفاعل مع الأسئلة المستجدة بروح علمية منفتحة.

٢٥- الفتاوى الشرعية التطبيقية

يتلقى مركز غامدي بشكل مستمر استفسارات من الجمهور تتعلق بتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في مجالات متعددة، مثل:

١- الزواج والطلاق

٢- المواريث

٣- المعاملات الاجتماعية والمالية

ويقوم المركز بتقديم فتاوى شرعية مدروسة في ضوء القرآن الكريم والسنة الصحيحة ومقاصد الشريعة، بعيدًا عن الفتاوى المتعجّلة أو التقليدية غير المتصلة بسياق العصر.

(مترجمة من الأردية)